

روايات مصرية الجيب



48

أسطورة المومياء

ما وراء الطبيعة



www.dvd4arab.com
Hany3H

مقدمة

هناك موميאות وموميאות ..

ليست كل الموميאות لطيفة المعشر أو محببة للنفس .. لو اعتقدت هذا فأنت بلا شك فى مشكلة .. لعل هذا هو الفارق بين شيخ خبر الحياة مثلى - أنا (رفعت إسماعيل) - وبين من يخطو خطواته الأولى فى طريقه المفعم بالأشواك ..

(رفعت إسماعيل) العجوز يعرف حكايات كثيرة عن موميאות لم تكن مهذبة بما يكفى .. لم تكن مسالمة بما يكفى .. لم تكن لطيفة بما يكفى .. يبدو أننى سأحكى لكم اليوم واحدة من هذه القصص .. فقط لأبرهن على أن الموميאות ليست تلك الأشياء الوديدة كما قد يخطر للبعض ..

هذا هو لقائى الثامن والأربعون معكم .. الحقيقة أننى كنت أزمع من البداية أن أكتفى بخمسين قصة ، ثم أترككم وأموت .. لا يعرف هذا القرار سوى عدد محدود جداً من قرأتى لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة ..

والسبب الأول هو حرصى على ألا أكون مملاً أو
مكرراً .. والسبب الثانى ستعرفونه يوم أكف عن
الكتابة ، وسوف أبقيه سرا فى الوقت الحالى ..

لكننى لا أجد الشجاعة الكافية لاتخاذ قرار كهذا
الآن .. لقد كان رقم الخمسين بعيداً جداً يوماً ما ،
لكنه الآن صار دانياً جداً ، وبصراحة مازالت هناك
حكايات كثيرة فى جعبتى لم أحكها ، بعضها لمحت إليه
وبعضها لم أفعل .. وأنا من الطراز الذى لا يموت قبل
أن يوفى بالتزاماته الأدبية والمادية كاملة ..

حقاً مازال العجوز (رفعت إسماعيل) قادراً على
السرد والكلام ، وحقاً مازال يملك الكثير ، لهذا قررت
أن أستمر ولا أتوقف إلا حين أتوقف .. أعذر إذن
للأصدقاء الذين وعدتهم بأن أحرص للأبد ، ثم لم أفعل ..
سأحاول أن تكون القصة التالية ترضية مناسبة لهم ..

هناك مومياوات ومومياوات ..

والمومياوات التى نلقاها اليوم كانت من طراز مختلف ..
ستعرفون السبب بعد قليل لو قلبتم الصفحة أو
نظرتم إلى اليسار ..

الجزء الأول

حكاية مختصرة عن النرويجى

الذى لا يتكلم كثيراً

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

أنا المختار من بين الملايين ، الذى يخرج من العالم السفلى ..

الذى لا يعرف اسمه أحد

إذا نطق اسمه على مجرى الماء جف ..

وإذا نطق اسمه فوق اليابسة اشتعلت النار ..

[تعويذة فرعونية قديمة]

* * *

حقاً لا أدرى إن كان من حقى أن أحكى لك قصتى مع (يوهان تورلسون) .. لقد مر دهر - نحو ثلاثين عاماً - على هذه القصة ، وفى الغالب لن يتأذى أى طرف من الأطراف لو حكيتها .. بالضبط كما أن أحداً لن يتأذى لو حكينا قصة حريق (روما) أو حملة (هاتيبال) ..

قابلت (يوهان) فى القاهرة فى أحد المؤتمرات الطبية التى تعقد دائماً فى واحد من تلك الفنادق المظلة على النيل .. لا أذكر موضوع المؤتمر ، لكنه كان طبيباً طبعاً .. لا يجب أن يكون المرء عبقرياً كى يخمن هذا .. يمكنك كذلك أن تعرف أن (تورلسون) هذا كان طبيباً من (أوسلو) ..

كان نرويجياً بكل ما فى الكلمة من معان .. أشقر جداً .. أزرق العينين جداً .. أحمر البشرة جداً .. بارداً ذلك البرود الجدير بمن كان أسلافه يقضون حياتهم فى بحر الشمال ، يهاجمون القرى الساحلية على سبيل الرياضة ، ويعبدون إلهاً وثنيّاً اسمه (أودين) ، ويحلمون بأن يذهبوا بعد الموت إلى جنتهم (فالهالا) ..

صموتاً كان وأنا أحب الصموتين بحق ..

ربما لاحظته لأنه ألقى محاضرة لا بأس بها عن مخاطر نقل الدم ، وأشهد له أنه تنبأ بميلاد كابوس لم يخطر لنا وقتها فى أسوأ أحلامنا اسمه (الإيدز) ..

كان يؤمن بأن الأعوام القادمة سيتجعلنا ندرك أن ما فعله اليوم جريمة ، وكان محققاً لأن تلك هي الأعوام التي كنا ننقل فيها فيروسات الالتهاب الكبدي والإيدز إلى المرضى دون أن نعرف هذا .. هذا ليس موضوعنا على كل حال ، لكن هذا واحداً من المواقف التي تجعلك تميل إلى شخص ما ، لأنه ذكي بالإضافة إلى صمته الدائم الغريب .. لست من هواة تعرف الأشخاص ، ولا أجمع الوجوه الجديدة كما يجمع هاوى الحشرات مجموعة من الخنافس .. لهذا لم أحاول أن أقدم له نفسى ، وفى الغالب كان سيلقانى ببرود لا يريحنى ..

* * *

فى ذلك الصباح شعرت بالملل من برنامج المؤتمر ، خاصة وأن هناك الكثير من المتكلمين لمجرد أنهم يحبون سماع صوتهم الخاص .. كانت القاعة مظلمة ما عدا ضوء (البروجكتور) الساقط على الشاشة ، والمتحدث الغارق نصف وجهه فى الظلام يتكلم بصوت رتيب لا تغيير فيه ولا تبديل ، كأنما نحن أطفال يحاول أن ينمنا ..

عبثاً حاولت أن أبقي عينى مفتوحتين ، لكن بدا لى كأن وزنهما طنان .. وضبطت نفسى مرتين أو ثلاثاً وقد غبت فى نعاس عميق ، من الطراز الذى تسقط فيه الذقن على الصدر ويسيل اللعاب من الشفتين اللتين فقدتا القدرة على أن تقفلا .. أنا فى عالم الأساطير أقف أمام (أوزوريس) لحظة الحساب ، وصوته يدوى عميقاً رتيباً مملاً وهو يتحدث عن .. صفائح الدم ! صفائح الدم !؟

فى النهاية هزرت رأسى ، ونظرت حولى فلم أر أحداً منتبهاً .. كان الممر المظلم بجائبنى وفى نهايته كلمة النجاة EXIT تضىء بالأحمر ، تعدنى بالخلاص من هذا الجحيم ..

توكلت على الله واتسحبت فى هدوء ، متجنباً النظر إلى المحاضر حتى لا يرابنى ، ونظر لى أحد البروفيسورات ذوى السوالمف الكثة فى اشمنزاز وأنا أفر من العلم كتلميذ فى المدرسة الابتدائية ، لكنى تجاهلته واتجهت للباب ..

أخيراً أستنشق الهواء النقي .. كانت الساعة العاشرة صباحاً واليوم ما زال بعد طويلاً ، وثمة جلسات يهمنى أن أحضرها ، لأن المؤتمر ليس كله هراء .. لهذا قررت أن أغادر الفندق ، وأمضى الوقت فى أى مكان بعيد عن هذا كله .. على أن أعود فى الثانية بعد الظهر ..

بالطبع تقود كل هذه المؤتمرات بشكل ما إلى ميدان التحرير ، وميدان التحرير بالنسبة لى هو المتحف المصرى .. لم لا أفعل هذا الآن ؟ لطالما قلت لنفسى إنه لو كان متحف اللوفر فى القاهرة لزرته ست مرات أسبوعياً .. وأنا عندى هنا ما يزرى بعشرين متحف لوفر .. فقط أنا لا أزوره لمجرد أنه (هناك) .. أستطيع أن أزوره متى أردت .. و(متى) هذه لا تأتى أبداً .. والنتيجة هى أنني لا أرى 80% من معالم مصر التى يقطع الغربيون أذرعهم اليمنى مقابل أن تكون عندهم ..

هذا يوم مناسب للعودة للجذور ، وليكونن نهراً جميلاً وسط (أمنحتب) و(سيسى) و(أمنمحات) ..

* * *

كنت فى الطابق العلوى من المتحف أتأمل بعض الأوتى الزجاجية منبهراً ، حين رأيت بطرف عيني ذلك الرجل الأشقر الشعر جداً ، أزرق العينين جداً ، أحمر البشرة جداً .. كان يمسك بورقة ويحاول جاهداً - مستعيناً (بدزينة) من الأقلام الملونة الجافة - أن يرسم عليها بعض النقوش الهيروغليفية من خزائن زجاجية أمامه .. كانت هذه هى لحظة التعارف المقدسة ، لأن مجموعة الأقلام سقطت منه على الأرض ، فاتحنى بجمعها ، وما كان من الممكن ألا أخف لمساعدته ..

فلما انتهينا ، شكرنى بتهذيب وبالإنجليزية ، ثم لم يلبث أن تبين أنه يعرف وجهى ..

- « إننى أنا لست الوحيد الذى هرب من المؤتمر ! »

- « ولست الوحيد المهتم بالتاريخ الفرعونى .. »

- « أنا مهتم .. وأى اهتمام ! »

وهكذا صار من المستحيل ألا تنعقد بيننا صداقة من نوع ما .. ومضينا نجول فى المتحف معاً .. كان

يملك أسئلة وما كنت أملك إجابات .. الحقيقة هي أن جهلنا - أو منعا لقلّة الأدب جهلى أنا - بالتاريخ الفرعونى لمروع .. وسرعان ما عرفت أنه يعرف مائة مرة قدر ما أعرف أنا .. كان اهتمامه أصيلا عميقا لا يترك شيئا للصدفة ، ولا بد أن (كارتر) لم يكن أكثر اهتماما وهو يفتش عن مقبرة (توت عنخ آمون) عام 1922 ..

ثمة ملحوظة أخرى من تلك الملحوظات التى لا تتضح أهميتها إلا فيما بعد ، والتى تتذكرها فجأة ذات ليلة وأنت ترمى السقف فى فراشك عاجزا عن النوم .. كنت أتكلم عن الميثولوجيا الفرعونية ، وقلت له ساخرًا :

- « كانوا يؤمنون بخليط غريب من عقائد الطوطم وتأليه الحيوانات ، كما أنهم كانوا يعتبرون السحر أمرا مفروغا منه .. وهو أمر غريب بالنسبة لحضارة كهذه .. »

قال لى فى ضيق :

- « هل تنفى وجود السحر من العالم حقًا ؟ »

يقول هذا لى أنا ! أنا (رفعت إسماعيل) بالذات ! ابتسمت ، وأنا أدرك أن هذا الرجل مهما رأى فلن يبلغ ربع ما رأيت فى حياتى :

- « عرفت فيما مضى واحدا اسمه (رفعت إسماعيل) كان لا يؤمن بأى شيء غير مادي .. لكن هذا الرجل قد توفى من دهور على ما أظن .. إتنى أوافق تماما اليوم على وجود السحر ، لكن يجب أولا أن يكون سحرا .. »

قال بنفس الضيق :

- « لسنا واثقين من سحر المصريين القدماء .. ربما كانت مجرد (حوايت) يكتبونها للتسلية على ورق البردى والمسلات .. لكننى أعرف السحر القوى حين أقابله ، وثق أتنى أعرف ما أتكلم عنه .. لقد كان (آرثر كونان دويل) نموذجا فريدا لطبيب ذكى غير قابل للخداع ، ويرغم هذا لم يستطع أن يرفض السحر .. »

فى النهاية - حين وصلنا إلى الطابق السفلى حيث الملكة (تى) الفاتنة تجلس جوار زوجها وتبتسم

ابتسامتها اللعوب الغامضة - كنا قد صرنا أقرب
شيء إلى صديقين .. صحيح أنها صداقة سريعة
البخر ، لكنها صداقة على كل حال ..

سألته وأنا أدون عنواتي ورقم هاتفى بالإنجليزية
فى مفكرته :

- « هل ستعود للوطن بعد المؤتمر مباشرة ؟ »

قال وهو يدون بياناته فى مفكرتى :

- « لا .. سامضى بعض أيام هنا .. أنا لم أر
(الأقصر) بعد .. لم أرها قط .. »

قلت فى فخر :

- « أنا زرتها مرتين .. كانت أول مرة أيام
الجامعة و... »

- « مرتين ؟ ! »

وتقلص فمه فى اشمزاز ، وأردف :

- « كنت أحسبكم تمضون هناك كل إجازاتكم
الأسبوعية ! »

ثم ناولنى مفكرتى ، ونظر إلى ساعته .. لم يحن
وقت العودة بعد ، لكنه كما هو واضح راغب فى
قضاء بعض الوقت منفرداً .. صافحته وقررت أن
أمضى الوقت الباقي فى نزهة على كورنيش النيل ..

* * *

كان هذا هو لقائى الأول بالترويجى (يوهان
تورلسون) .. طبيب مختص بأمراض الدم ، وعاشق
للتاريخ المصرى .. صموت .. قادر على أن يكون
سمجاً متى أراد ذلك ..

فيما بعد التقينا فى أروقة المؤتمر كثيراً .. تبادلنا
هزات الرأس أو كلمات عابرة ، وقدمت أنا بحثاً
لابأس به ، فهنأتى بعدما نزلت من المنصة .. علاقة
سطحية جميلة جداً كما ترون ، فما كان لى ذنب فى
كل ما حدث بعد هذا ولا علاقة بالشيخ (خميس) ..

يحب بعضكم أن يربط بينى وبين الرئيس (خميس)
فى هذه القصة ، وهو نوع من التجنى لا أجد له
مبرراً .. أنتم قرأتم ما حدث معى ، فأين ذكرت
الرئيس (خميس) فى السطور السابقة ؟

إن ما حدث بعد هذا كله كان غيبًا بالنسبة لى ،
وإذا كنت سأحكىه فى الصفحات التالية ، فلأتنى
عرفته فيما بعد ، وليس لأتنى عشته .. إن دورى فى
هذه القصة يبدأ من الجزء الثانى لامن الفصل
الثانى ..

وكنت أتمنى لو لم يبدأ قط ...!

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

- ٢ -

الأقصر ..

على ظهر المعديّة التى تعبر النيل إلى الضفة
الغربية ، لابد أن صديقنا النرويجى وقف يرمى
الأرض الدانية ويعرق ، ويذب الذباب الكثيف - القادم
من زراعات قصب السكر - عن وجهه ، لكن هذا
المجهود بدا له مستحيلًا على كل حال .. بالنسبة له
لم تكن هذه هى الأقصر قط .. إنها (طيبة) ..
عاصمة مصر ..

كان قد زار ما يمكن أن يزار فى البر الشرقى ..
رأى الكرنك ومشى فى طريق الكباش ، واتبهر بمدى
تقدم العمران الفرعونى .. هذه مشاهد حفظها عن
ظهر قلب من الكتب ، لكن الأمر يختلف على
الطبيعة .. كما أن سماع السيمفونيات من المذياع
شئ ، والجلوس لتسمع المعجزة ذاتها تولد من
فرقة عازفين بشحمهم ولحمهم شئ آخر ..

لكن المتعة الحقيقية تبدأ في البر الغربي .. حيث
تنتظر ثمانمائة مقبرة على الأقل ، وحيث يغفو
وادي الملوك الرهيب في الشمس الحارقة وسط
الجبال .. وحيث معبد الدير البحري الذي شادته
(حتشبسوت) يوماً ما ، ومعبد (الرامسيوم) المهيّب
المخيف ..

ترجل ماشياً بحذر على لوح الخشب الذي وضعه
النوتى له .. كان هناك الكثيرون ممن يرغبون في
أن يساعده أو يعملوا أدلة له ، لكنه كان يعرف
ما يريد جيداً .. وبصعوبة اجتاز زحام اللوحين
اللجوجين ، ومشى حتى صار على مسافة مأمونة
منهم .. ووقف ينتظر .. لا بد أن الرجل يعرف
الموعد ، ولا بد أنه ينتظره ..

أخيراً رآه يتقدم منه .. هذا الجلباب الأبيض النقي
الذي تدهش كيف لم يتسخ وسط بحر العرق هذا ..
الوجه الصعدي الأسمر قوي القسمات كأنه نحت في
الأبنوس ، والشعر المجعد الأشيب على جانبي الرأس
فيما ظهر تحت العمامة ..



أخيراً رآه يتقدم منه .. هذا الجلباب الأبيض النقي الذي تدهش كيف لم
يتسخ وسط بحر العرق هذا ..

دنا منه الرجل ثم سألته كاشفاً عن أسنان عاجية :
- « الدكتور (تورلسون) ؟ »

لم يكن النرويجي يعرف ما نسميه نحن (إنجليزية الترجمات) ، لكنه على الأقل وجدها واضحة جداً ومفهومة .. سره هذا لأنه لا يفقه حرفاً من اللغة العربية ..

- « أنا هو .. الرئيس (خميس) ؟ »

- « تحت أمرك .. »

ودون كلمة أخرى مشى معه الرجل ليكون دليله في جولة البر الغربي هذه ..

* * *

كانت بحق رحلة شاقة .. لكن النرويجي كان مبهوراً متلاحق الأنفاس لا يصدق ما يراه ، وكان المترجمان المصري بارعاً عليماً بحق بكل تفاصيل هذا الجزء من وطنه ، وكان يتكلم عن ملوك الفراعنة كأنهم أقاربه .. زوج خالته وابن عمه ..

يعرفهم ويفهمهم وربما رأهم أحياء كذلك .. وتحت تأثير هذا الانطباع التقط للرجل عشرات الصور جوار الآثار كأنما يصوره وسط أملاكه الخاصة ..

أخيراً توقفت عربة الحنطور أمام الفندق الصغير الذي سببت فيه النرويجي ليلته .. دخل الترجمان البهو وحياً الموظف ، وتبادل همسات معه .. طبعاً بصدد عمولته لأنه اختار هذا الفندق ..

ثم صعد مع الرجل إلى حجرته ..

انغلق الباب وراءهما ، فمد الترجمان يده في جيبه وأخرج لفافة صغيرة أسطوانية وناولها ضيفه .. أنا لم أر هذه اللفافة لكنها بالتأكيد كانت في حجم وأبعاد منشقة وجه تم لفها حول نفسها .. تبادل الرجلان نظرة ذات معنى ، ثم قال الترجمان في صوت هامس :

- « كن حذراً يا دكتور .. هذه مسئولية ثقيلة .. »

- « أنا أعرف ما يجب عمله .. »

- « وأنا لم أعطك شيئاً .. »

وأشعل لفافة تبغ ، ونفث سحابة بيضاء كثيفة
أمام وجهه الأسمر وتساعل :

- « هل تبيعها أم هي لاستعمالك الخاص ؟ »

- « استعمالى الخاص .. »

- « حسن .. هذا أكثر أمنا .. »

ووقف ينتظر متثاقلاً متمهلاً ، ففهم النرويجى أنه
نسى .. عبث فى جيبه وأخرج بضغ أوراق من
العملة ، ودسها فى يد الرجل .. لكن هذا الأخير لم
يبد حراكاً ولم تتحرك عضلة واحدة فى وجهه ..

- « فهمت .. »

وأخرج بضغ أوراق أخرى دسها فى يده ، فطواها
هذا ووضعها فى حافظة عملاقة بحجم كتاب صغير
أخرجها من صدر جلبابه ، وقال :

- « طابت ليلتك .. غداً أمر عليك فى السابعة
صباحاً لتواصل جولتنا فى (الرامسيوم) .. »

فلما انفرد النرويجى بنفسه ، لا بد أنه لم يجد
الشجاعة الكافية لفتح اللفافة .. لا بد أنه تفحصها
وتحسسها ، ثم دسها فى مكان ما بين طيات
حقائبه .. هل نام جيداً ؟ أشك فى هذا .. كان يعصف
بروحه مزيج من شوق عارم وحماسة مبالغ فيها ..
وبعض الخوف كذلك ؟ لماذا لا نعترف بهذا الوحش
الكاسر الغالب : الخوف ؟ إنه من حق كل إنسان ..
حتى لو كان لصاً !!!

* * *

بعد أيام - وبعد نزهة لا بأس بها رأى فيها مصر
كما لم يرها أحد - عاد صديقنا النرويجى إلى (أوسلو) .

كان يعيش وحيداً بعد طلاقه من زوجته ، وهى
خطوة روتينية لدى شعوب الشمال هذه .. الميلاد ..
الزواج .. عدم الإنجاب .. الطلاق .. الموت (أو
الانتحار لو كان سويدياً أو دنماركياً) ..

كان فى الخمسين من عمره .. وقد وجد غايته
فى الطب ، وبعض التجارب الغامضة التى يقوم بها

من حين لآخر ، وهى تجارب عرفت طبيعتها فيما بعد .. لم يعد هذا هو عصر حرق السحرة ، بل صارت لكل إنسان الحرية المطلقة لعمل أى شىء لا يضايق الآخرين .. يمكنك أن تسكب البنزين على نفسك وتشعل الثقاب ، ما دمت لن تحرق شيئاً من بيوت الجيران .. يمكنك أن تقود سيارتك بكسرولة على رأسك وأنت تلبس فستان طفلة فى السابعة ، بشرط ألا توقف السيارة فى الممنوع ..

هنا يجب أن نذكر عدة حقائق :

١ - الأخ (تورلسون) مخبول .. ربما لا تكونون قد لاحظتم هذا ، وربما لا تصدقون .. لكنى أقولها لكم ، وأزيع عن كاهلكم عبء اكتشاف هذا بأنفسكم .. من قال إن المجنون يجب أن يبدو ويتكلم كمجنون ؟

٢ - منذ عشر سنوات وهو يمارس السحر ، وحجته فى ذلك أنه يريد استكشاف المجهول كما قضى كل هذه الأعوام يستكشف المعلوم ..

٣ - من الواضح تماماً أن اللقافة التى أخذها من ذلك الترجمان فى الأقصر كانت ذراع مومياء .. كلكم خمن هذا بالطبع .. إن القصة هكذا دائماً .. ويبدو أن أذرع المومياوات سهلة التهريب إلى حد ما .. ومن الواضح أن صيتها عظيم فى العالم الغربى ..

٤ - ماذا يفعله ساحر مخبول بذراع مومياء ؟ سؤال غريب ! إن هذا يفتح له إمكانيات لا حصر لها .. يخيل إلى أحياناً أن حياة الساحر من دون ذراع مومياء هى شىء مستحيل ..

٥ - يزعم الأخ (تورلسون) أن يجرب ضرباً من أفظع ضروب السحر الأسود التى تحدثت عنها مراجع الطب .. إنه ما يطلقون عليه (يد المجد Hand of Glory) ..

إن الطريقة سهلة ، وقد قرأتها بعدة أساليب ، لكنها تتلخص فى التالى : يد معنى لمجرم مشنوق (وهذه نقطة خلاف سنتكلم عنها بعد قليل) توضع فى قدر به خليط من كبريتات النحاس والملح و.....

لن أحكى التفاصيل حتى لا أثقل الخبرة الأثمة
لشخص آخر .. تعرض اليد لأشعة الشمس لمدة
أسبوعين ، وتثبت إليها شمعة مصنوعة من دهن
الموتى والسمن .. لا تفاصيل أخرى .. ليس
هذا كتابا لفنون التدبير المنزلى كما تلاحظون ..

تتحول يد المجد هذه إلى ما يشبه الشمعدان ..
هذا الشمعدان يمكنه أن يحول كل من يتعرض له
إلى شبه مشلول بلا حراك .. كانت هذه من أدوات
السرقه المحببة لدى اللصوص ، وكانوا يجمدون بها
أصحاب البيوت (هكذا تحكى الكتب) نكن أصحاب
البيوت كانوا يتوقعون هذا بأن يدهنوا عتبات البيوت
بخليط من مرارة القط الأسود ودهن الدجاجة
البيضاء ، ويتم تركيب هذا الخليط أيام الشعري (بين
3 يوليو و15 أغسطس) ..

لماذا يفكر الأخ (تورلسون) فى صنع يد المجد ؟
طبعاً لأنه مخبول ، ولأنه يريد تجربة كل شيء قدر
قرأه فى كتب السحر .. طبعاً كان من العسير عليه
الحصول على يد مشنوق .. هذه الأشياء لا تباع فى

السوبر ماركت .. لكنه كون قناعته الخاصة أن يد
مومياء فرعونية هى ما يضمن قوة الوصفة ..
ويبدو أنه وجد فى الكتب العتيقة لديه ، والتي جمعها
من كل مكتبات أوروبا الشرقية ، ما يؤكد يقينه هذا ..

وكان أن جاء موعد المؤتمر فى مصر ، وكان أن
اتصل - قبل السفر - بصديق له من هواة سرقة
الآثار ، وله باع قديم فى هذا .. فدلّه على من يدعى
الريس (خميس) ، وهو من يعرف كيف يحصل على
شيء كهذا ..

- « يمكن أن يخدعنى ويبيعنى أية يد يبدو عليها
القدم .. »

- « الرجل لا يمزح .. إنه محترف ، ثم إنه الأمانة
الكاملة تمشى على قدمين !! »

وهكذا سارت الأحداث إلى اللحظة التى صار فيها
(تورلسون) وحيداً فى داره ، ومعه تلك الذراع
الفرعونية .. هذا مخيف بما يكفى ويدعو لكثير من
النفور .. لكنه كان يبدأ الخطوة الأولى فى طريق
الكوابيس الذى لانهاية له ..

* * *

فى البداية احتاج الرجل إلى أسبوعين أو ثلاثة حتى ينتهى من مهمته المقرزة .. لهذا لا يمارس كل الناس السحر الأسود ، لأنه يحتاج إلى أن تكون مجنوناً تقريباً ، وأن تكون أعصابك من حديد .. لما كنا نعرف أن هذه العملية يجب أن تتم فى أيام الشعرى ، يمكن بلا خطأ كبير أن نعرف أن هذا تم فى وقت ما بين 3 يوليو و 15 أغسطس .. والحقيقة أنه كان الأسبوع الأول من يوليو ..

فى النهاية - جالساً إلى مكتبه على ضوء الأياجورة - فرغ من الخطوات الأخيرة ، وصار لديه ما يشبه الشمعدان .. شمعدان رهيب تقول الكتب إنه أقوى سلاح فى الكون .. كان عليه أن يجربه ، وهكذا دسه فى كيس ورقى ونزل إلى شوارع المدينة المظلمة يبحث عن هدف ..

والهدف كان متسولاً عجوزاً يجلس على قارعة الطريق ، من النوع الذى يعزف على كمان ولا يفيق أبداً .. إنه كنز نادر لأنه لا يوجد متسولون تقريباً فى النرويج كلها .. وقدر (تورلسون) أنه لو حدث ضرر مميت لهذا العجوز ، فلن يخسر المجتمع شيئاً .. ربما لن يخسر العجوز نفسه شيئاً .. فى الغالب سيستفيد ..

رأى العجوز من يدنو منه عبر ضوء الشارع الخافت .. لم يكن خائفاً .. لم يذق الخوف منذ عشرين عاماً ، لأنه لا يملك ما يخشى أن يفقده .. سأل القادم بصوت واهن منهك :

- « مرحباً أيها الغريب .. اختر لى اللحن الذى تريد سماعه .. مقابل بضعة كرونات سأعزف لك على الكمان حتى الصباح .. »

دنا منه (تورلسون) .. كان مرتبكاً خائفاً بحق .. هو لا يريد أن يؤذيه لكنه راغب فى التجربة بحق .. مد يده فى الكيس الورقى وأخرج الشمعدان الرهيب .. لوح به أمام وجه الرجل ، واتسعت عيناه فى ترقب ..

نظر العجوز للشئء يلمع فى الظلام .. اتسعت
عيناه لحظة ، ثم نظر لـ (تورلسون) وهمس بصوت
كالفحيح :

« أنت إذن الشيطان ! (لوسيفر) نفسه ! ليكن !
اقتلنى إذا أردت فلن أخسر شيئاً ! »

ارتبك (تورلسون) .. فهذا آخر شئء توقعه ..
قال العجوز وهو يخرج زجاجة من جيبه ويزيح
سدائنها :

« أنا أعرف هذا الشئء جيداً .. إن للعم (هاتز)
تجاربه .. لكن دعنى أقل لك إن من يله بالنار
يحترق بها .. وهذه الأشياء ليست للهو .. »

وجرع جرعة كبيرة من الزجاجة ، ومسح فمه
بظهر يده المعروقة وقال :

« هذا بالطبع إن لم تكن أنت الشيطان ذاته ! »

للحظة وقف (تورلسون) متصلياً يتأمل العجوز ..
من الواضح أن التجربة فشلت .. لكن لماذا ؟ هل لأن
العجوز يعرف ما عليه أن يتوقعه ؟ أم لأن يد
المومياء لا تصلح ؟ أم لأن القصة كلها خرافة ؟

دس الشمعدان فى الكيس الورقى وابتعد ليغيب
فى الظلام ، بينما العجوز يصيح بصوته الواهن :
« لو كنت يائساً فتعال اجلس بجائى ، وأصغ
إلى وأنا أعزف الرابسودى .. »

لكن (تورلسون) كان قد توارى تماماً ..

الضحية التالية كانت امرأة ، وكانت واقفة فى هذه
الساعة أمام ناد ليلى تدخن .. قدر أن المجتمع لن
يخسر كثيراً لو أصيبت هذه بسوء ما .. لم يكن هناك
من يراه لذا دنا منها ليدخل دائرة الضوء ، ووقف
بعض الوقت يحاول أن يجد الشجاعة .. سألته ضاحكة :
« عم تبحث وفيم تفكر ؟ يبدو لى أنك إنسان
خطر للغاية أو .. »

ثم صمتت عن الكلام لأنها رأت الشمعدان الغريب
الذى يحمله .. هذه المرة لم تكن تعرف كنه هذا
الشئء لكنه بدا لها مخيفاً بما يكفى .. تقلصت
الضحكة على شفتيها وتراجعت للوراء خطوة
وهمست بصوت كالفحيح :

« حَقًّا أَنْتَ مَجْنُونٌ .. (هنرى) ! (هنرى يهتف) ! »

ولم يكن الأمر يحتاج إلى ذكاء لمعرفة من هذا الـ (هنرى) ، لأن جداراً من العضلات يرتدى سترة جلدية ، ويعلق قرطاً فى أذنه ، وكثيراً من الأساور الحديدية التى يلبسها الفتوات عندنا ، خرج من الظلام من مكان ما .. بدا أنه موشك على التفاهم ، لولا أن (توركسون) بادر بالفرار .. هذه المرة جرى جرياً وغاب فى الظلام ..

* * *

الآن صار متأكداً من شيء واحد .. كل ما كتب عن (يد المجد) هذه خرافة ، وما كان بوسعها أن يعرف ما لم يجرب طبعا .. شعر بالسخف من منظره وهو الطبيب المثقف يجوب شوارع (أوسلو) كطفل يحاول أن يخيف الناس بسحلية اصطادها .. عليه أن يعود إلى داره ويتخلص من هذا الشيء المقيت ..

لم تكن هذه أول مرة .. إنه قد جرب كثيراً من هذه الألعاب من قبل ، وليس الغريب هنا أن أكثرها

قتل ، بل إن بعضها قد نجح .. وهو ما جعله يؤمن أن السحر منجم واسع ، لكن الناس قد ألقوا فيه كثيراً من الأحجار المزيفة حتى صار من المستحيل أن تعرف ما لم تجرب .. (يد المجد) هذه نموذج جيد للأحجار المزيفة التى نالت ضجة أكثر مما تستحق .. وها هى ذى قد كلفته كثيراً من المال والجهد والخطر ، خاصة لو أن أحداً وجد تلك الذراع معه فى المطار .. إن المصريين لم يعودوا يتسامحون بالنسبة لآثارهم ، بينما كان ممكناً فى الماضى أن تخرج برأس (نفرتيتى) أو حجر (رشيد) أو مسلة كاملة تضعها فى ميدان (الكونكورد) ..

حان وقت الخلاص من هذا الاختراع الرهيب ، ولكن كيف ؟ إن الأذرع لا تصلح لإلقائها فى القمامة بالتأكيد .. حتماً سيجدها أحد .. إن معجزة الشرطة هى أنهم يبدئون بأشياء كهذه ، وبرغم هذا يصلون إلى الفاعل بدقة متناهية .. الفاعل الذى يضرب كفا بكف متسائلاً : كيف عرفوا .

وهكذا حزم أمره ..

بدأ بأن انتزع الشمعة الرهيبة من اليد ، ووضعها في منديل ملفوف .. إن العثور على يد ثبتت إليها شمعة ، لابد أن يذكر بعض الناس بذكريات ثقافة معينة من العصور المظلمة .. ثم إنه دس اليد في كيسها الورقي ..

اتجه إلى المرآب وقد حمل الكيس الورقي بعدما وضع فيه ثقلاً ، ولف حبلاً حول الكيس بمحتوياته .. فتح سيارته ووضع الكيس جواره ، ثم أدار المحرك .. إن نهر (أكبر) قريب جداً من بيته ، وبرغم هذا كانت رحلة متوترة في ظلام الليل والشوارع التي صارت شبه خاوية .. لم يحب كثيراً أن يستوقفه رجال الشرطة لسبب ما ويفتشون السيارة ليجدوا هذا الشيء .. إنه لا يهوى الأسئلة ، ومعه في ذلك حق .. وبعد دقائق كان عند النهر ..

كان هذا الجزء مقفراً خالياً من القوارب أو المارة ، وكان هذا منتصف الليل على كل حال ..

دنا من النهر أكثر فأكثر .. راح يصفر كعادة من يرتكبون شيئاً لا يريح ضمائرهم .. نظر حوله فلم ير

أحداً .. تنهد .. وتظاهر بأنه يتشعب والشينان في يده .. طوح بالمنديل الورقي الذي يحوى الشمعة .. ثم ..

لم يلق بالكيس ..

لماذا ؟

لأنه سمع خطوات من ورائه فالتفت ..

كانت أضواء سيارة (تورلسون) مضاءة فلم يتبين القادم ، كما يحدث في هذه الأمور .. لأن الأضواء كانت تتكسر وتغلف القادم في ضباب مبهر للبصر .. لم يستطع تبين حدوده الخارجية (السلويت) إلا حين خرج من دائرة الضوء ..

كان فارغ القامة يرتدى معطفاً طويلاً ويدس يديه في الجيبين ، وكان يتقدم ببطء كما يفعل رجال العصابات في الأفلام السينمائية .. رجل واثق من نفسه يعرف بحق ما يفعله ..

لكنه لم يتقدم أكثر ..



يسطه أخرج الرجل ذراعه من جيب معطفه ولوح بها ويرغم الصو.
الخافت الواهن ، أدرك (تورلسون) أن ذراع الرجل اليمنى مبتورة تحت
المرفق .

ظل واقفاً في الظلام بضع ثوان بدت كالدهر ..
هنا فقد (تورلسون) رباطة جأشه وصاح في
توتر (ولكم كان يخشى أن يصيح في توتر) :
- « هل تريد شيئاً معيناً ؟ »

بيبطاء أخرج الرجل ذراعه من جيب معطفه ولوح
بها .. ويرغم الضوء الخافت الواهن ، أدرك
(تورلسون) أن ذراع الرجل اليمنى مبتورة تحت
المرفق ..

* * *



لم يحدث شيء بعد هذا ..

لقد دوى صوت سرينة إحدى سيارات الدورية
قادمة من المنعطف القريب ، ويبدو أن حادثة ما
وقعت في الجوار .. وقرر (تورلسون) أن الأصوب
الآن أن يركب سيارته ويتعد .. فيما بعد سيحاول
فهم ما جرى وسيفزع كما ينبغي أن يكون .. لا أسئلة
مخرجة الآن .. لا أسئلة ..

هرع لسيارته حاملاً الكيس ، وأدار محركها ،
وتراجع للوراء ليغير اتجاهه .. لاحظ بطرف عينه
أن الرجل الغامض لم يعد هناك .. لا وقت لهذا
الآن .. ثمة وقت كاف فيما بعد للبحث عن تفسيرات
مقتعة .. ابتعد عن النهر ودخل أحد الشوارع وحافظ
على سرعة عادية لا تريب ، وسرعان ما رأى السيارة
مصدر السرينة .. كانت سيارة دورية مسرعة لا تهتم

بالنظر من حولها ، وخلفها كانت سيارة إطفاء حمراء
تلحق بها بذات السرعة ، لكنها لا تصدر سرينة لأنها
اكتفت بما تصدره الأولى .. كانت ملحمة أضواء الملونة
تذكره بالأحلام .. بل الكوابيس ..

مشى وراء الموكب الثنائي لأنه كان يقطع نفس
الطريق .. غريب هذا ! حريق في نفس المنطقة ،
وربما نفس الشارع ..

بل في نفس البناية !!

لأنه حين وقف في الشارع رأى فوضى هائلة ،
وكانت الأرض زلقة غارقة بالمياه ، بينما وقف
الجيران المذعورون بشباب النوم يرمقون سلم الإطفاء
وهو يرتفع إلى الطابق الرابع .. وكانت النار تتدلع
كأنها وحش غاضب لا يسكته شيء .. نار وأضواء
كثافات وأضواء ملونة من سيارتي الدورية والإطفاء ..
حقاً إن هذا لكابوس !

وصاح أحد الجيران وهو يحتضن زوجته وابنته :

« كنا سنحترق أحياء لو لم تشم (سيبيل) رائحة

الشياط »

هنا هرع أحد رجال الإطفاء حاملاً خرطومًا ..
انزلت قدمه في أثناء الجري ، فسقط أرضًا .. لسبب
مجهول لم يتمالك (تورلسون) نفسه من الضحك ..
بدا له المشهد سخيفاً كإحدى كوميديات (الفارس) ..
مضحك ! هاهاها ! كل هذا مضحك ! هاهاها !

نظر له أحد الجيران بضيق وغمغم :

- « من المهين أن تسخر من هؤلاء الذين
يخاطرون بحياتهم من أجلنا .. »

- « معذرة .. إنه انفلات عصبي لا أكثر .. لم
أتعمد هذا .. »

ودنا أحد الضباط المبتلين بالعرق والماء من
الواقفين ، وصاح :

- « النار اندلعت من الطابق الرابع .. شقة
رقم 17 .. لانستطيع الدخول لإتقاذ السكان .. هل
نجا أحدهم ؟ »

بلهجة مخدرة كمن نوم مغناطيسيًا قال (تورلسون)
من بين شفتيه المغلقتين :

- « لا داعي للبحث عن سكان الشقة أيها الضابط ..
لم يكن بها سوى ساكن واحد .. »

- « هل تعرفه ؟ »

- « إنه أنا ! »

* * *

كانت معه بطاقة الائتمان ، وقد استطاع أن يحصل
على غرفة في ذلك الفندق ..

إن يومًا شاقًا ينتظره غذا وأسئلة كثيرة عن سبب
الحريق .. لقد أجاب عن الكثير ، لكن هناك المزيد
دائمًا .. وتهمة الإهمال ستظل تتأرجح أمام عينيه
طويلاً .. التفسير الأقرب للمنطق أن هناك ماسًا
كهربيًا حدث في الشقة .. لا يعرف .. هذه أشياء
يعرفها المحققون بسهولة غذا ، أما الآن فهو في
كارثة .. لقد احترقت مكتبته التي كانت خليطًا فريدًا
من كتب الطب والسحر .. هذه هي الخسارة الأهم ،
أما المال فلم يكن في الشقة الكثير .. الأثاث يمكن
دائمًا تجديده ، وبعض الإصلاحات يمكن أن تعيد الشقة

لحالتها القديمة أو ما يشبهها .. المشكلة والخسارة الحقيقية هي الكتب ، وهذه لا تقدر كنوز الأرض على استعادتها ..

لماذا حدث ما حدث ؟

لقد ارتبط هذا برويته ذلك الشخص الغامض مبتور الذراع .. ما علاقته بالأمر ؟ إنه لم يحب رويته كثيراً ولسبب لا يفهمه .. وحقا إنها لصدفة غير عادية .. يحاول الخلاص من ذراع فيمنعه من ذلك ظهور رجل مبتور الذراع ..

ما الذى كان هذا المخبول يريد ؟ ولماذا تقدم نحوه بهذه الثقة كمن يطالب بحق مشروع ؟

كانت أعصابه متوترة بحق ، وقرر أن يكف عن اللهو بهذه الأمور فيما بعد .. على من يمارس السحر الأسود أن يتمتع بأعصاب من حديد ، وهو مهزوز بعنف من جراء أحداث تلك الليلة الصاخبة ..

لا يدري متى نام لكنه فعلها .. وفى منامه رأى كوابيس عديدة أسوأ ما فيها أنها متداخلة ، وأنه لم

يذكر منها حرفاً حين أفاق .. فقط يذكر أنها كانت ليلة سيئة بحق .. ولحسن الحظ أنه ترك يد المجد هذه فى السيارة فى المرآب ، والا لزادت الطين بلة ..

كان النهار قد أطل ، فقرر أن يبدأ ترتيب أموره سريعاً .. لو كان رجال الشرطة قد فرغوا من المعاينة ، ولو كانت حالة البناية تسمح ، فإنه سيمضى الليلة القادمة فى شفته لأن هذا الفندق ليس مريحاً ..

* * *

لم تكن اليد فى الكيس !

كانت خارجة وعلى المقعد الخلفى ، وهو متأكد تماماً من أنه تركها فى الكيس ، ودارى الكيس تحت المقعد الأمامى الجانبى .. أشياء كهذه لا يخطئ المرء فيها خاصة إذا فعلها وهو متيقظ نشط ، وقد كان متيقظاً نشطاً أمس ..

كان هذا غير مريح بالتأكيد ، وهو من الطراز الذى يعرف جيداً ما يفعله .. لا يمكن أن يكون فعلها غافلاً أمس .. هناك من فتح السيارة وأخرج اليد من الكيس .. هذا واضح ..

عند الظهيرة احترقت السيارة .. نعم .. احترقت
وهي في موقف سيارات بالساعة وسط المدينة ،
ولاداعي لذكر أن اليد لم تكن فيها وقتها ، لأنه
أخفاها في خزانة أمانات بالمحطة ..

لم يجد رجال الشرطة ما يريب في الحادث ، فلم
ير أحدهم شخصاً يدنو من السيارة طيلة ثلاث
ساعات كاملة .. هذه الأشياء تحدث أحياناً .. شرارة
من المكان الخطأ تذهب إلى مكان أكثر خطراً ، أو هذا
هو التفسير الوحيد ، ولتحمد الله على أن الحريق
كان محدوداً ولم يؤذ أحداً ، ولم يمسك بالسيارات
المجاورة .. هل لديك تأمين على السيارة يا دكتور ؟
سيكون عليك أن تبرهن لهم على أنك لم تشعل النار
عمداً للحصول على مبلغ التأمين .. بعد هذا لن
تخسر مليماً واحداً ..

إلا أنه من الصير تصديق حدوث حريقين في وقت
واحد لرجل واحد ، وكان عليه أن يفتع رجال الشرطة
بما لم يفتنع به هو نفسه : هذه صدفة لا أكثر ..

في المساء أصيبت زوجته السابقة بانفجار في
الزائدة الدودية .. واتصلت به والدتها لأنه لا بد أن

يساعدها في أمور كهذه .. لا يوجد معها أحد وعليه
أن يتصرف ..

وفي الحادية عشرة مساءً كان قد انتهى من أمر
المستشفى ، واطمأن على مطلقته .. وأدرك أنه لن
ينام قبل أن يقوم بعمل مهم .. اتصل بصديقه الذي
سهل له عملية الحصول على الذراع .. طلب لقاءه
للأهمية ..

* * *

- « لكن دعني أقل لك إن من يله بالنار يحترق
بها .. وهذه الأشياء ليست للهو .. »

* * *

وفي غرفة مكتب صديقه جلس يجفف العرق عن
وجهه ، ويقول وهو يرتجف بلا انقطاع :

- « كل هذه ليست مصادفات .. إن حياتي كلها قد
دمرت أو تغيرت في أربع وعشرين ساعة .. »

قال صديقه الخبير بالآثار :

- « ثمة أشياء كهذه حدثت من قبل .. أنت تعرف ما أصاب اللورد (كارنافون) بعد العثور على مقبرة (توت عنخ آمون) .. إن هذه القصص الرهيبة يمكن أن تملأ مجلدات .. »

- « خطر لى أن هذه هى بالضبط لعنة الفراعنة كما وصفها الأقدمون .. أنا رجل علم ولا يجب أن أصدق هذا لكن .. »

- « رجال العلم الذين لا يصدقون هذا ، لا يجوبون الشوارع ليلا يجربون وصفة سحرية من العصور الوسطى .. أنت تعرف كما أعرف أنك تصدق هذا وتؤمن به .. علينا ألا نكابر .. يبدو أنك أيقظت لعنة فرعونية شديدة البأس من قبرها .. ويبدو أن هناك من يحرق عليك بشدة »

نظر لصاحبه فى قنوط وتساءل :

- « هل يمكن أن يكون هناك تفسير أكثر منطقية ؟ »

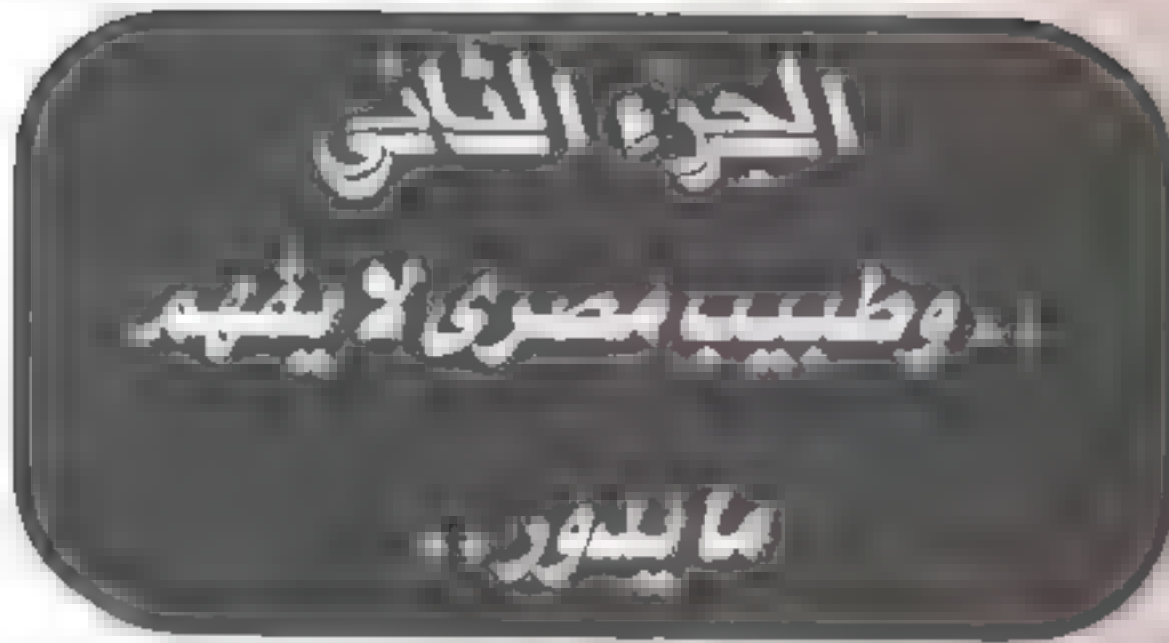
- « لو أقتعتى أنه من الممكن أن يحترق بيتك وسيارتك ، وتمرض مطلقك فى يوم واحد ، لكان بوسعى أن يؤكد لك أن الفراعنة لا دخل لهم فى الموضوع .. »
- « والعمل ؟ »

قال صديقه وهو يصب بعض القهوة فى كوب ورقى :
- « أنت تعرف الحل .. لا بد من تصحيح هذا الخطأ .. لا بد من إعادة الذراع إلى المومياء التى أخذت منها .. »
- « تعنى أن أعود إلى مصر ؟ »

- « لا أجد حلاً آخر .. لا يمكن أن ترسل الذراع بالبريد المسجل ، وتوجه الطرد إلى الرئيس (خميس) هذا .. »
فكر (تورلسون) قليلا وهو يمتص القهوة من الكوب الورقى .. لا يدرى هل الانتعاش الذى يحسه هو من القهوة أم من الفكرة الموحية بالخلاص .. لكنه بالفعل بدأ يرى الفكرة لا بأس بها .. عودة المياه إلى مجاريها هى ما يريد ، ولو كانت الذراع بريئة من كل هذا ، فقد قام بما ينبغى القيام به ..

قال لصديقه وهو يلقي بالكوب في سلة المهملات :
- « أطلب لى إحدى شركات السياحة .. يبدو أنتى
سامضى أسبوعاً فى مصر على سبيل الترفيه .. »

* * *



- « أنا (تورلسون) .. د. (يوهان تورلسون) ..
تقابلنا في مؤتمر الشهر الماضي .. »

طبعاً كنت أتذكر كل شيء لكنني أردت بعض
الوقت كي أرتب أفكاري .. قال لي :

- « أنا أتكلم من القاهرة من فندق (...) .. هل يمكن
أن يسمح وقتك بقاء في مكان ووقت يناسبان كلينا ؟ »
حككت رأسي مفكراً ، وقلت وأنا أتمنى أن أجد
سبيلاً للفرار :

- « ليكن .. سأقابلك في لوبي الفندق غداً في
العاشرة صباحاً .. »

ووضعت السماعة شارد الذهن .. ماذا جاء بهذا
الرجل هنا ، وهو قد عاد لبلاده منذ أسبوعين
لا أكثر ؟ ما سر هذه الصداقة المفاجئة وهو من
الطراز البارد الرسمي ، الذي يحتفل بكل يوم يخسر
فيه صديقاً ؟ طبعاً يريد خدمة ما ، فهذا هو السبب
السحري الوحيد الذي يحيل غير الودودين ودودين
فجأة .. لكن أية خدمة ؟

* * *

- ١ -

أنا المختار من بين الملايين ، الذي يخرج من
العالم السفلي ..

الذي لا يعرف اسمه أحد

إذا نطق اسمه على مجرى الماء جف ..

وإذا نطق اسمه فوق اليابسة اشتعلت النار ..

[تعويذة فرعونية قديمة]

* * *

لا أرى لماذا جاعني هذا الهاتف ولا مادوري أن
في القصة كلها ، لكن الساعة كانت التاسعة مساءً
حين دق الجرس ، وسمعت صوتاً نرويجياً بارداً
يتسائل عما إذا كنت أنا (رفعت إسماعيل) ..

قلت له إني أنا ، وأنا أتوجس من سر هذه
المكالمة .. كنت طيلة حياتي أمقت المكالمات
النرويجية في المساء ، ويبدو أنني كنت على حق ..

- « إن الأمر يتعلق بمومياء ! »

قالها لى محاولاً أن يبتسم ، لكن ابتسامته لم تنجح إلا فى أن يسقط قدح القهوة من يدي ، حيث جلست فى لوبى الفندق الفخيم .. هذه آخر خدمة كنت أتوقعها ، ثم مادخلنى أنا فى هذا الأمر ؟ المفترض أنه لا يعرف سمعتى السوداء فى هذا الصدد .. السمعة التى أحاول أن أخفيها حتى لا تختلط بصورة الطبيب المحترم .. لا أريد أن ينظر لى الناس كأحد المجاذيب أو المشعوذين الذين يملنون الأرقعة خلف مسجد (الحسين) ..

قلت له محاولاً أن أتمالك نفسى :

- « أعتمد أن عندك قصة مهمة شائقة تفسر كل شيء ، وإننى لفى غاية الامتنان لو قصصتها على الآن .. »

كان .. كما قلت لك - أشقر جداً .. أزرق العينين جداً .. أحمر البشرة جداً .. بارداً .. لكنه الآن لم يعد بارداً إلى هذا الحد .. ثمة خبرة قاسية مروعة مرت به ،

وجعلته أكثر إنسانية ، ولاحظت أن زاوية فمه ترتجف أكثر من اللازم ، وأن يده اليمنى تمسك باليسرى كي لا تهتز ..

راح يحكى ورحلت أصغى ، وإننى لأرجوكم أن تسمحوا لى بالإصصات قليلاً .. أنتم تعرفون ما لا أعرفه طبعاً .. كلا .. لن أكرر ما قال لأننى لست من هذا الطراز من الكتاب .. الشيء الوحيد الجديد الذى لم تعرفوه هو أن الرجل جاء بالذراع معه فى حقييته ، وقد اعتزم أن يردها إلى موضعها ..

حين انتهى من كلامه كان سؤالى المنطقى هو :

- « ولماذا أنا بالذات ؟ »

قال وهو يضع ساقاً على ساق شاعراً بالرضا لأنه انتهى من هذه القصة التى كانت حملاً على كاهله :

- « أنت مصرى أولاً .. هذه نقطة مهمة لأننى أجهل كل شيء عن هذا البلد .. أعرف كل شيء عن تاريخه لكننى لا أعرف شيئاً عن جغرافيته .. باختصار لا بد من واحد من أهل البلد يساعدنى .. »

- « هذه نقطة قد أفهمها .. والنقطة الأخرى ؟ »

- « أنت مهتم بهذه الأمور . لقد سألت عنك زملاءك في المؤتمر ، وكان التعليق الوحيد الذى يتكرر دائماً هو : إن (رفعت إسماعيل) حجة فى عالم ما وراء الطبيعة .. ربما لهذا لم يمتلك عبادة خاصة .. ربما لهذا لم يتزوج .. ربما لهذا لا يملك مالاً .. إنه راهب الغموض والأسرار المتوارية تحت الأرض .. »

كنت أتوقع شيئاً من هذا .. لا يمكن أن يجد أحدهم أن لخالته نابين ، أو أن عرنى جاره مشقوقتان بالطول ، إلا ويجد من ينصحه بأخذ رأى العجوز (رفعت إسماعيل) لأنه يفهم فى هذه الأشياء ..

قلت له فى تهذيب :

- « دكتور (تورلسون) .. أنا متفق معك تماماً فى وجوب إرجاع هذه الذراع لمكانها .. ليس لتتقى لعنة الفراعنة فأنا لست واثقاً من أن هذه هى مشكلتك ، ولكن لعدة أسباب »

ورحت أعد على يدي :

- « أولاً : هذه طريقة غريبة مهينة لمعاملة البلد الذى استضافك ، فما كان منك إلا أن سرقت آثاره .. مثلك مثل الضيف الذى يزورنى ثم يتسلل إلى المطبخ فى أول فرصة ، ليسرق قطعة لحم من إناء الطهى .. »

قال فى ضيق وقد قرر أن يغضب هذه المرة :

- « لحظة .. »

- « لا تقاطعنى أرجوك .. لا داعى للكلام الرسمى لأننا نريد أن نتكلم بصراحة مطلقة .. أنتم الغربيين تتعاملون مع كنوزنا باستخفاف وغلظة كأنها ليست من حقنا .. ويبدو أنكم لن تشفوا من هذا الداء قريباً .. يمكنكم دائماً فهم غضب الإيطاليين بسبب وجود (الموناليزا) فى فرنسا ، بينما لا تفهمون أبداً لماذا نغضب بسبب وجود تماثيلنا فى أوروبا .. ثانياً : أنت خرقت احترام الموتى وحق هذا الفرعونى المسكين فى أن يدفن بالطريقة التى اختارها لنفسه .. »

أنت تعرف كم كان الفراعنة يقدسون الموت ،
ويقدسون سلامة جسدكم وقت الحساب ، ولهذا
اخترعوا التحنيط .. ربما كان هذا كله هراء ، لكن
من حقهم أن نتركهم في الصورة التي أرادوا أن
يظلوا بها .. أنت تقابل في الغرب من يطلب كتابة
قصيدة معينة على قبره ، أو دفن كراس معه ، وتجذب
من علامات التحضر أن تفعل ما طلب وتلتزم به
حرفياً .. لماذا تفترض أن هذا الفرعونى لا يستحق
معاملة أخيرة كهذه ؟ لقد استقبلت فرنسا موميا
(رمسيس) الثانى باستقبال رسمى جدير بالملوك ،
باعتباره ملك دولة صديقة .. إن (رمسيس) لن
يعرف بشيء من هذا كله ، لكن المهم هو المعنى
والمغزى .. هذا هو ما يجعلنا بشراً متحضرين .. »

- « ثالثاً : أنت سرقت جزءاً من جثة آدمى
لتستخدمها فى السحر الأسود .. لا يوجد أحط من
هذا إلا الساحرات اللواتى كن يلتهمن قلوب الأطفال
النابضة .. الساحرات كن يحرقن أو يُفرقن مثقلات
بالحجارة .. فماذا يكون مصيرك أنت فى عصر العقل
هذا ؟ لا شيء سوى أن أبدى ضيقى وتفورى .. »

- « لاشك أنك اتخذت القرار الصائب .. ربما كان
متأخراً لكن لاجل أمامك سواء .. أما أنا فلا أملك إلا
أن أتمنى لك التوفيق ، وأقر أنني لست خير من
يساعدك فى هذا الموضوع .. »

قال فى ضيق :

- « ماذا عن الذهاب إلى الأقصر للقاء هذا الدليل ؟ »

- « أنت ذهبت من قبل وحدك ولم تجد صعوبة ما ..
يمكنك أن تفعلها ثانية .. أما أنا فارتباطاتى هنا
تحول بينى والسفر .. ثم إننى لن أفعل سوى
ما ستفعله أنت .. أين الرئيس (خميس) يا شباب ؟
ها هو ذا ياسيدى .. ياريس (خميس) .. هذه هى
النراع .. خذها وأعدّها حيث كانت .. شكراً .. سلام .. »

نظر لى بعض الوقت ، شاعراً - طبعاً - أنه أضاع
وقته وكبرياءه ، وتلقى درساً فى الأخلاق ممن
لا يستحق .. رشف ثمالة القهوة ثم نهض وأغلق
أزارار سترته وترك المكان ..

★ ★ ★

- « لكن دعني أقل لك إن من يله بالنار يحترق بها ..
وهذه الأشياء ليست للهو .. »

* * *

- « هذا بالطبع إن لم تكن أنت الشيطان ذاته ! »

* * *

فيما بعد عرفت ما حدث ..

لقد ارتحل الرجل في اليوم التالي إلى الأقصر ،
واستقر في نفس الفندق الذي كان يقيم به في المرة
الأولى ، فما إن أفرغ حاجياته من الحقائب ، حتى
ارتدى قميصاً قصير الكمين وصندلاً بما يناسب
حرارة الجو القائلة ، ونزل إلى الطريق يبحث عن
يدله على الرئيس (خميس) ..

في المرة الأولى كان الأمر سهلاً لأن الرئيس
(خميس) هو من وجدته ، وكان أحد النرويجيين قد
اتصل به ، وأخبره بالضيف المنتظر ، أما الآن فطيه
أن يجد الرجل بنفسه ..

سأل عن الرجل في بعض البازارات لكن أصحابها
- الذين كانوا يجيدون الإنجليزية لحسن حفظه - لم
يتعرفوا الاسم .. ونصحوه أن يبحث بين الأدلاء ..

ركب عربة حنطور ، وقرر أن يسأل سائقها .. إن
هؤلاء القوم أدلاء بالفطرة ، ويعرفون كل إبرة في
المكان .. المشكلة كانت هي أن الرجل لا يعرف من
الإنجليزية إلا بضع جمل ..

بعد جهد فهم الرجل أن السؤال عن يدعى
الرئيس (خميس) ، وفهم النرويجي أن الرجل
ينصحه بالسؤال في البر الغربي ، لأن عشش هؤلاء
القوم متناثرة هناك .. ثم حك السائق ذقنه مفكراً
وقال :

- « أعرفه .. تقول الرئيس (خميس) ؟ أعتقد
أنني أعرفه .. »

ثم كان أن نصحه بسؤال من يدعى (حميدة) ..
(حميدة) طبعاً لو ترجمنا الكلام إلى العربية ..

وهكذا عبر النرويجي للتعس المعدية إلى البر
الغربي .. من جديد يحييه الذباب الذي لا يترك الوجه

« فيما بعد .. فيما بعد .. ولماذا لا أستطيع أن أقابله ؟ »

هنا قال الفتى ما توقعتموه بالضبط ..

قال إن الرئيس (خميس) توفاه الله منذ يومين ..

★ ★ ★



إلا ميتاً .. بحث وسط الأدلة الكثيرين ، وهو لا يردد إلا كلمتين (خميس) و (حميدة) .. اخترق عشرات من الخيول وعربات الكارو وهو لا ينفك يبحث عن وجه بعينه ..

أخيراً برز (حميدة) من بين القوم ، وكان شاباً في العشرين من عمره ، أسمر اللون مجعد الشعر يرتدى سترة وسروالاً من مخلفات الجيش ، ويبدو أن عمره العقلي - بحكم التعامل اليومي - لا يقل عن الأربعين .. لهذا سأل النرويجي بطريقة البيع لا الشراء وهو يغمض إحدى عينيه تشككاً .

« لماذا تريده ؟ »

كانت إنجليزيتة أفضل قليلاً من سلفه ، لكنها ظنت إنجليزية ترجمات كما نعرفها نحن المصريين ..

قال (تورلسون) في نقاد صبر :

« أنا سائح وهو ترجمان .. لماذا أريده إذن ؟ »

« خمن ! »

« من العسير أن تقابله .. لكن لو كنت بحاجة

إلى ترجمان ... »

ارتجف (تورلسون) وعاد يكرر الكلمات ..
الرجل مات منذ يومين ، وهو تقريباً الوقت الذى
وصل فيه إلى مصر ..

إنها رسالة واضحة جداً .. كيف مات الرجل ؟
لا أحد يدري على وجه اليقين .. إنه رجل مسن
وهذه أعمار .. من يضمن منا ألا يسقط ميتاً الآن
حالاً ؟

- « وهل .. هل دفن ؟ »

- « طبعاً يا خواجه .. هل كنت تريد أن تنتظرك ؟ »

كانت مشكلة قوية .. يمكنه أن يترك الذراع أو
يتخلص منها فى أى مكان .. لكنه كان يعرف ما هو
أفضل من هذا .. يعرف أن عليه ديناً يجب سداده ..
فإن لم يسدده كان عليه أن يدفع ثمنه بالدم أو - فى
أفضل الظروف - بالرعب طيلة حياته ..

لم تطل به لحظة التردد ، واتخذ قراره سريعاً ..
انتحى بالفتى جانباً ، وقال له هامساً :

- « ثمة خدمة أريدها منك .. أنا مستعد أن أدفع ..
أدفع بسخاء .. »

لم يقل الفتى شيئاً مواصلاً سياسة (بيع لا شراء)
التي تبناها من اللحظة الأولى ، فقال (تورلسون) :

- « ثمة شيء جلبه الرئيس (خميس) لى ..
شيء لا أراغب فيه وأرجو أن أعيده إلى حيث كان ..
هل تفهم كلامى ؟ »

قال الفتى مواصلاً توجسه :

- « أى شيء بالضبط ؟ هل تتكلم عن أثر
يا خواجه ؟ »

- « نعم .. نعم .. قطعة من مومياء لو شئت
الدقة .. »

- « إذن أنت أخطأت المكان والشخص .. نحن
لا نتاجر فى الآثار .. »



كان يتوقع هذه الاستجابة ، فعاد يلح :

- « الأمر لا يتعلق بأخذ شيء ولكن بإرجاعه حيث كان .. الفارق واضح .. »

قال الفتى في حدة وهو يتهيا للابتعاد :

- « شرطة الآثار لا تعرف الفارق بين من يحمل قطعة من جثة لتهريبها ، وبين من يحملها لإعادتها ، ولن يصدق أحد أى كلام عن إرجاع الأثر لمكانه .. »

- « سادف بسخاء .. »

وفي قبضة الفتى استقرت حفنة من الأوراق المالية ، فنظر لها ملياً .. ثم أشعل لفافة تبغ ودس الأوراق في جيبه .. لقد بدأ يلين نوعاً ..

- « ثمة مبلغ مماثل لهذا بعد انتهاء العملية .. »

- « لحظة .. لماذا تفترض أنتى أعرف من أين جاء الرئيس (خميس) رحمه الله بهذه القطعة ؟ »

- « أنتم تعرفون هذه الأشياء جيداً .. وأعتقد أنه في مهنتكم لا توجد أسرار .. »

كان يعرف جيدًا قصة قبيلة الحربات التي كان أهلها يعرفون ويتوارثون سر أربعين مومياء مخبأة في الجبل ، وكان هذا هو مصدر رزق القبيلة حتى انكشف الأمر عام 1881 .. لقد رأى كأكثر الأوروبيين فيلم (المومياء) الذي أخرجه (شادى عبد السلام) . وهو يعرف أن القصة حدثت فعلاً .. هؤلاء القوم يملكون أسراراً خاصة بهم ، محرمة على سواهم . لكنهم جميعاً بلا استثناء يعرفونها ..

فكر الفتى بعض الوقت ثم قال :

- « ليكن .. هات الشيء عند الغروب ، وسأرى ما أستطيع عمله .. سأكون بانتظارك عند (الرامسيوم) .. هل تعرفه ؟ »

- « طبعاً .. أنا أعرف (طيبة) كظهر يدى .. »

ابتسم الفتى ساخراً ونفت سحابة كثيفة من الدخان ، وقال :

- « إنها لم تعد (طيبة) يا خواجه .. اسمها الآن الأقصر .. »

- « إنها مازالت (طيبة) بالنسبة لى .. »

ولابد أنه حين اتصرف لم يلحظ نظرة الفتى الساخرة إلى ظهره ، وبعدها طوح لفافة التبغ وعاد يواصل عمله ..

* * *

وبينما كانت الشمس تنحدر نحو الأفق الغربى ، حتى لتكاد تسمع صلوات كهنة (آمون) القديمة .. التقى الرجلان : المصرى الشاب والنرويجى الكهل .. نظر (تورلسون) حوله ثم مد يده بكيس ورقى كبير إلى (حميدة) ، وقال هامساً :

- « هل عرفت من أين جاءت ؟ هل من وادى الملوك ؟ »

ابتسم الفتى فى غموض وقال :

- « أنت لم تأت لتسأل أسئلة .. لاحظ أننى لم أسألك لماذا أردت هذه القطعة ، ولماذا تعيدها .. كل واحد لديه أسرار يكره أن يعرفها الآخرون .. والآن ألقاك غداً فى نفس المكان والزمان لأخبرك بما فعلت أو أعيد إليك أمانتك .. »

طبعاً لم يكن (تورلسون) بالسذاجة التى تجعله يتوقع أنها من وادى الملوك ، لكنه كان يسأل لمجرد السؤال .. إن هذا الوادى يحوى جثثاً ثمينة بحق لا يمكن العبث بها .. لكن هناك مومياوات كثيرة فى الأقصر ، أكثرها لعامة الشعب الذين لا يذكر التاريخ أسماءهم ، وربما لا تعرف هيئة الآثار عنهم شيئاً .. وبالتأكيد لن يشعر أحد بفقد ذراع أحدهم ..

كان أول فرعون يفكر فى الدفن قرب النيل هو (أمنحتب الأول) من الأسرة 18 .. قبلها كان الفراعنة يفضلون بناء المصاطب والأهرام ليدفنون فيها حتى يناديهم (أوزيريس) للحساب ، لكن المشكلة هنا هى أن اللصوص كانوا متحمسين أكثر من اللازم ، ولم يكونوا ممن يخافون لعنة الفراعنة على ما يبدو ، وكان من المهم للمصريين القدامى أن يلقوا حساب (أوزيريس) بكامل أعضائهم وكنوزهم وإلا فالويل لهم ..

لهذا قرر الفرعون (أمنحتب الأول) أن يجبد لنفسه مكاناً بعيداً غير روتينى ليدفن فيه .. مكاناً محاطاً بالجبال الوعرة ودائياً من النيل نهر الحياة ..

وسرعان ما وجد الفراعين الذين تلووه أن هذا الموضوع مريح ومبهج وآمن .. وتكون وادى الملوك بنفس السرعة التى تنشأ بها قرى الساحل الشمالى اليوم .. لكنهم لم يستطيعوا الخلاص من عادة الأهرام المحببة ، لهذا اختاروا أن تطل على قبورهم هضبة هرمية يسميها الناس هنا (القرن) ..

هل ظلوا آمنين كما توقعوا ؟ بالطبع لا وإلا ما كنا نعرف عنهم أى شيء .. وكان الأخ المغامر الإيطالى (بلزوني) - عام 1817 - هو أول من أزعج سباتهم الطويل .. لقد وجد مومياء فى هذا الوادى ، وكانت تخص الملك (سيتى) الأول .. بعدها توالى الكشوف ، وصار وادى الملوك أشهر من نار على علم ..

فى اليوم التالى ، تم اللقاء وقال (حميدة) باسمًا وهو يشعل سيجارته :

- « كله تمام يا خواجه .. اطمئن .. »

ثم مد يده ، ولم يكن أمام (تورلسون) إلا أن يصدق .. أخرج رزمة مكتنزة من المال ودسها فى يد الفتى ، وسأله بحذر :

- « هل أعدتها لنفس المكان ؟ »

قال الفتى ما معناه :

- « عيب .. أنت تتعامل مع رجل .. »

- « والتفاصيل ؟ »

- « لا أسئلة .. »

ودون كلمة أخرى راح يثب فوق الحجارة قاصدا
مجموعة من السياح تدخل المعبد ..

ما كان لدى (تورلسون) إلا أن يصدقه ويعود إلى
الفندق ..

★ ★ ★



- ٣ -

القاهرة ..

حيث كنت أنا أمضى فترة من أجمل فترات
حياتي ، برغم كراهيتي العارمة للحر الذي يتسلل إلى
كل خلية من جسدي .. كانت الحياة هادئة كاللبن
البارد ، واعتدت ألا يحدث شيء ما .. لقد كف
أقاربي عن الموت (ربما لأنهم انتهوا) ، وكفت الأشباح
عن مضايقتي (ربما لأنها عرفت أنه لا خطر مني) ،
وكف أصحاب الأسرار الرهيبة عن طلب رأيي (ربما
لأنهم أدركوا ألا جدوى هنالك ..)

في هذا الوقت تدخلت الصدفة ، في شكل دعوة
على العشاء .. والداعي هو الدكتور (رمزي حبيب)
خبير المصريات الذي التقيت معه من قبل في قصة
لغة الفرعون (أخيروم) إياها^(*) .. كانت هناك مومياء ،

(*) كان هذا هو الكتيب التلغ ..

وقد ارتكبت غلطة حين قررت أن أشرحها بنفسى ،
وكانت هناك بلورات تتناثر فى كل صوب ، تهدى
حارس المقبرة إلى طريقى .. هل قرأتموها ؟ لا ؟
إذن حاولوا أن ترجعوا إليها .. أعتقد أنها كانت
قصة جيدة ..

كما تعرفون كان الدكتور (رمزى حبيب) مولفاً
بالبشر واجتماعياً ، وهى جريمة لا تغتفر بالنسبة لى ..
لكننى سامحته لسبب واحد : هذا الرجل كنز من العلم
يمشى على قدمين ، وكل مرة يفتح فيها فاه للكلام
تضيف لعمري أعواماً من الخبرة ..

كانت زوجته (ماري) تقدم لنا الطعام الذى طهته
بنفسها .. وهى من النوع الذى لا يحب الأكل ، لكنها
تحب بحق أن ترى وحوشنا تتصارع عليه حتى
الموت . إن هذا يملؤها فخراً .. وكما كانت فى المرة
السابقة لم ينجبا قط .. ومن الواضح أنهما لن يفعلوا
أبداً ..

بالطبع دار الكلام بيننا عن القصة السابقة ،
ربما أنه كانت فيها مومياء غاضبة ؛ فقد خطر لى أن
أحكى له عن قصة ذلك المجنون النرويجى ، وتجاربه
المنزلية على يد المجد .. لم أتوقع أهمية ما أقول
لرجل ، لأن الابتسامة راحت تضحل شيئاً فشيئاً .
عن وجهه ، وبدأت أخاديد من الاهتمام تتكون هناك ..
ربع ساعة حكيت فيها قصتى كانت كافية لتبديل
مزاجه كلية ..

- « وماذا حدث فى الأقصر ؟ »

قلت له فى خفة :

- « لاشيء .. إنه يحدث الآن عن الرئيس (خميس)
هذا ، وأرجو ألا تكون مهمته يسيرة .. »

قطب جبينه أكثر فأكثر وتوقف عن المضغ ،
فقلت الزوجة مروعة :

- « آآآه ! أنت دسست على ذيل الأسد النائم
ياد . (رفعت) .. ما كان لك أن تحكى قصة كهذه لو
كنت تعرف أدنى شيء عن زوجى .. »

لم يسمع كلامها أصلاً ، بل نظر لى نظرة سوداء
كارهة وقال :

- « هذه أمور لامزاح فيها .. هذه سرقة آثار
لاشك فيها ، وكان واجبك نحو هذا البلد أن تبلغ عن
ريسك (خميس) وطبيبك النرويجى هذين من اللحظة
الأولى .. »

- « هأنذا قد أبلغت .. »

- « بالصدفة .. إن أمثالك هم سبب تدمير ثروتنا
السياحية .. والمصيبة أنك من الطبقة المثقفة لهذا
البلد .. تصمت استهتاراً أو مجاملة ، ثم نجد رب
آثارنا هناك .. فى هذا المتحف أو ذاك .. لدى هذا
الثرى أم ذاك .. »

ونهض وقد عزم على اتخاذ إجراء سريع .. كلا ..
ليس إعدامى طبعاً بل إبلاغ شرطة الآثار أن هناك
من يدعى الرئيس (خميس) يقوم بتهديب أذرع
المومياوات للسياح المتحمسين فى الأقصر ..

صحت فيه متوسلاً :

- « ليكن .. لكن لا داعى لإبلاغهم عن (تورلسون) ..
إن الرجل الآن يحاول إعادة أثر لا سرقة .. »
- « هذا لا ينفى أنه سرقة من قبل .. »

قلت متوسلاً بحرارة أكثر :

- « (رمزى) .. لا داعى للإحراج أرجوك .. لقد
اتمنى الرجل على سره ، ومن المفترض أن اظل
صامتاً .. أنت تعرف كما أعرف أنه لن يؤذى أحداً
بعد الآن .. سيفر قراراً إلى وطنه .. »

بدأ يلين قليلاً وهز رأسه بما معناه أنه سيحقق
لى هذا الحلم .. ثم قال والسماعة على أذنه :

- « ألم يخطر لهذا المخبول أن الترجمان قد
خدعه ؟ ربما باعه ذراع جثة عادية عولجت كى
تبدو قديمة .. »

قلت فى حيرة :

- « لم أفكر فى هذا .. »

- « حدث هذا مراراً .. »

- « إذن لانكون أمام قضية تهريب آثار بل قضية نصب .. »

- « سنعرف هذا حالاً .. آلو .. هل العميد (عصمت) موجود ؟ »

فلاتنس أننا كنا فى عصر لم تتحول فيه رتب الشرطة إلى رتبتين لا أكثر : بك وباشا .. ومضى يتكلم همساً مع الطرف الآخر ، بينما رحت أعبث بالملعقة فى قدح الشاي الفارغ شاعراً بالإثم ..

وحين عاد لى د. (رمزى) قال وهو يجلس ويتناول قدح الشاي الذى برد دون أن يشربه :

- « هكذا نعرف .. ثم إن لاهتمامى بالموضوع جاتبا علمياً .. ربما كان هذا الترجمان يعرف مكان مقابر لانعرفها .. إن قصة قبيلة الحربات شاخصة أمام عيني كل عالم مصريات .. إن كل شىء فى الأقصر بالغ الأهمية .. (طيبة) عاصمة مصر

القديمة تحوى من الأسرار أكثر مما فى رأسك .. أ .. فى رأسى من شعر .. عرفها الإغريق بهذا الاسم كما عرفوها باسم (ديوسبوليس) - أى المدينة السماوية - والتوراة تسميها (نو أمون) أى (مدينة أمون) .. لقد بدأ عمراتها من عهد الأسرة السادسة .. ثم تحولت إلى عاصمة البلاد التى تدين بدين (أمون) . فلم يخرق هذا إلا (أخناتون) ولفترة وجيزة جداً .. وظلت صامدة إلى أن دمرها الرومان فى القرن الأول الميلادى .. »

- « وفى (طيبة) بدأ الملوك من الأسرة الثامنة عشرة يختارون قبورهم ، وهكذا تكون وادى الملوك المهيب .. »

سألته والعبارة التى قالها لاتفارق مخيلتى :

- « وهل تعتقد بوجود موميאות لاتعرفون عنها شىء بعد ؟ »

فكر قليلاً ثم قال :

- « إن فن التحنيط نشأ فى مصر حوالى عام 4000 قبل الميلاد .. كان هذا كما تعلم طقساً دينياً مهماً

بالنسبة لهم .. يقال إن كهنة الفراعنة قاموا بتحنيط نحو 730 مليون جثة حتى انقرض هذا الفن حوالي سبعة قرون قبل الميلاد .. تخيل هذا ؟ 730 مليوناً ! كم مومياء وجدنا نحن وكم بقى ؟ إن الاحتمالات لتدير الرعوس .. ولكن سنعرف كل شيء بعد استجواب الرئيس (خميس) هذا .. »

★ ★ ★

بعد يومين اتصل بي ليقول فى الهاتف :

« البقية فى حياتك ! »

صحت فى جزع :

« هل توفيت زوجتك ؟ »

« يا أخى للملاظ سعد .. لقد توفى للرئيس (خميس) هذا .. توفى منذ فترة ، ويبدو أنه فى نفس لحظة وصول طبيبك النرويجى إلى مصر .. الوفاة تبدو أقرب إلى نوبة قلبية أو ربما هى كذلك فعلاً »

« صدفة غريبة حقاً .. وماذا عن النرويجى ؟ »

« هل نسيت ؟ أنت طلبت عدم إقامته فى الموضوع .. بالطبع لا أعرف عنه شيئاً .. لكننا نجرى بعض التحريات بين معارف الترجمان ، ويبدو أننا بصدد شيء مهم .. أعتقد أننا سنجد المقبرة التى أخذت منها الذراع .. إن للشرطة وسائلها كما تعلم .. »

كنت قد نسيت كل شيء عن الموضوع ، وبالطبع لم أكن مهتماً بما تصل إليه التحقيقات .. بعد أيام سيعلنون فى الصحف عن اكتشاف مقبرة الأمير (نخت - ساو - رع) - أو شيء من هذا القبيل - من أمراء الأسرة التسعين لو كان شيء كهذا ممكناً ، وتظهر الصور أثرياً يضحك فى جدل وهو يقف على باب مغارة محاط بالحبال ، ومعه يختلس العمال جزءاً من ابتسامات الصورة .. أسنان بيضاء وسط الوجوه السمراء ، وبعدها تنسى الأمر بمرمته ..

لكن (تورلسون) لم ينس ..

★ ★ ★

ويصرخ (تورلسون) .. يصرخ .. يصرخخخخ !!
ومن جديد يفيق ليدرك أنه رأى كابوسًا ضمن
كابوس ، وهو أسلوب فريد شبيه بالمرحلية ضمن
المرحلية كما فعل (شكسبير) في (هاملت) ..

كانت الحجرة ساكنة هادئة .. في الظلام تعداد
عيناه حدود المملكة القديمة .. لكن .. صبرًا .. ثمة
شيء ما لا يريحه .. هذا الجسم جوار المرأة لم يكن
هناك في السابق .. جسم له أبعاد وحدود تعطى
الانطباع ب

هل هو كابوس جديد ؟ كابوس ضمن كابوس
ضمن كابوس ؟ أم أنه ؟

وامتدت يده إلى الأياجورة جوار الفراش ، وضغط
المفتاح .. فغمر الضوء الغرفة ، ورأى كل شيء ..
لم يكن مخطئًا ..
ليتة كان مخطئًا ..

★ ★ ★

— ٤ —

— « وماذا فعلت بعدها ؟ »

— « ما هو طبيعي ومتوقع .. صرخت بأعلى
صوتي .. ج .. جاء الخدم إلى الحجرة .. لكن وسط
الفوضى التي أعقبت صراخي فر (الشيء) مبتعدًا .. »
— « ولم يره أحد وهو يغادر الغرفة ؟ »

— « هذا ما حدث .. وطبعًا .. حسبني الجميع
مجنونًا .. »

نظرت إلى الدكتور (رمزي) الذي جلس جوارى
رافعًا عويناته كعادته فوق خصلات شعر رأسه
الأنثيب .. لم يكن يملك أسئلة ، وكذلك كنت أنا قد
عرفت كل شيء عما فعله (تورلسون) منذ جاء إلى
الاقصر ..

لقد اتصل بى فى الثالثة صباحا .. كلا لم تكن
مكالمة ولكن كانت نوعاً من العواء ، وبدا لى أنه
على وشك الجنون إن لم يكن جن تماماً .. قال وسط
عباراته المختلطة :

- « يجب أن تساعدنى .. لا بد من أحد يساعدنى ..
لم أعد أستطيع مجابهة كل هذا وحدى .. اسمع ..
أنا جاد فيما أقول .. سأقتل نفسى غداً ، وسوف
أحملك المسئولية كاملة فى خطاب أتركه لإدارة
الفندق .. ويوم أصير شيخاً سأطارذك فى كل ساعة
من يومك و..... »

وهكذا لم أستطع .. لم أجد سبيلاً لمنع هذا
المخبول من الانهيار التام ، إلا أن اتصل بالدكتور
(رمزى) استفتيته .. قال إن على أن أذهب إلى
الأقصر إذا أردت أن أمنع معدوم الإرادة هذا من قتل
نفسه .. إنه مصر على أننى قادر على إنهاء مأساته ..
لا أدرى السبب .. كأن هناك من أخبره أننى من
كهنة (آمون) أو ربما (آمون) نفسه ..

إلا أن ما شجعتنى على الأمر هو أن (رمزى) قال
إنه راغب فى الذهاب إلى الأقصر معى ؛ لأن
الموضوع بدأ يثير اهتمامه .. تصور هذا ! أن ترى
الأقصر ومعك عالم مصريات ! وأى عالم مصريات !
إن .. (رمزى حبيب) - بالإضافة إلى سعة علمه -
لذو حيثية ونفوذ لا بأس بهما ، ويمكن أن تفتح له
المعابد والمقابر التى لا يراها الغلبة غدير
المتخصصين من أمثالنا .. إن الموضوع مغرب حق ..
وان يؤذنى فى شيء ..

وحين وصلنا إلى الفندق - بعد رحلة مرهقة بحق -
أثار دهشتى أن أرى ما تحول إليه (تورلسون) فى
غضون أيام .. كان كما قلت نرويجياً بكل ما فى
الكلمة من معان .. أشقر جداً .. أزرق العينين جداً ..
أحمر البشرة جداً .. لكنه لم يعد يتمتع بأى نوع من
التوازن العصبى ، وخطر لى أنه من الأسلم أن
نسلمه إلى السفارة النرويجية لتغضى به .. كان
جالساً فى مقعده ينظر للأمام بعينين ذاهلتين دون
أدنى نية لمبادلتنا النظرات أو الحركة ..

سألته :

- « هل تعنى أن إرجاع الذراع لم يكن كافيًا كي تتركك اللعنة ؟ »

قال د. (رمزي) فى نفاذ صبر وبالعربية :

- « أى إرجاع ذراع ؟ يا (رفعت) لا تكن ساذجًا .. أولاً أنا أشك فى موضوع اللعنة هذا .. ثانياً من الحماسة أن تحسب ذلك الفتى .. ماذا كان اسمه ؟ (حميدة) .. قد أرجع الذراع للمقبرة ذاتها .. من الواضح تمامًا أنه وجد أمامة مخبولة يعرض مالا وفيرا .. لا توجد مشكلة .. هاتها يا خولجة وسأعيدها لك .. وبالطبع تخلص من الذراع على أول كومة قمامة وجدها ، وعاد لياخذ (الحلوة) .. »

هنا قال النرويجى بالإنجليزية ، وهو لم يفهم عبارة (رمزي) الأخيرة :

- « لقد خدعنى الفتى .. لم يرجع للذراع مكتها .. »

بالعربية قال د. (رمزي) فى تهكم :

- « لا توجد مستحيلات .. لقد فهمها هو الآخر .. إن الأجانب يحتاجون إلى وقت طويل قبل أن (يدهنوا الهوا بوكو) أو (يفهموها وهى طائيرة) ، كما فعلنا نحن من أيام (أحسن) ! »

عدت أسأل (تورلسون) :

- « ألن تخبرنا بما رأيت حين أضأت الأباجرة ؟ »
فالحقيقة هى أنه لم يخبرنا بشيء قط .. كان مارآه شنيعًا لكنى لا أدرى ما هو .. فقط كان يرتجف ويدارى عينيه كلما تطرق الكلام لهذا الجزء .. سألته فى إلحاح :

- « ما دليلك على أن الفتى خدعك ؟ »

.. « هذا .. »

ومد يده إلى درج الكومود جواره وأخرج لفافة لها كل أبعاد منشفة الوجه المطوية .. لم أكن فى حاجة إلى فتحها لأعرف ما بها ..

- « الذراع ؟ .. ومن أعادها إليك ؟ »

- « هو ! »

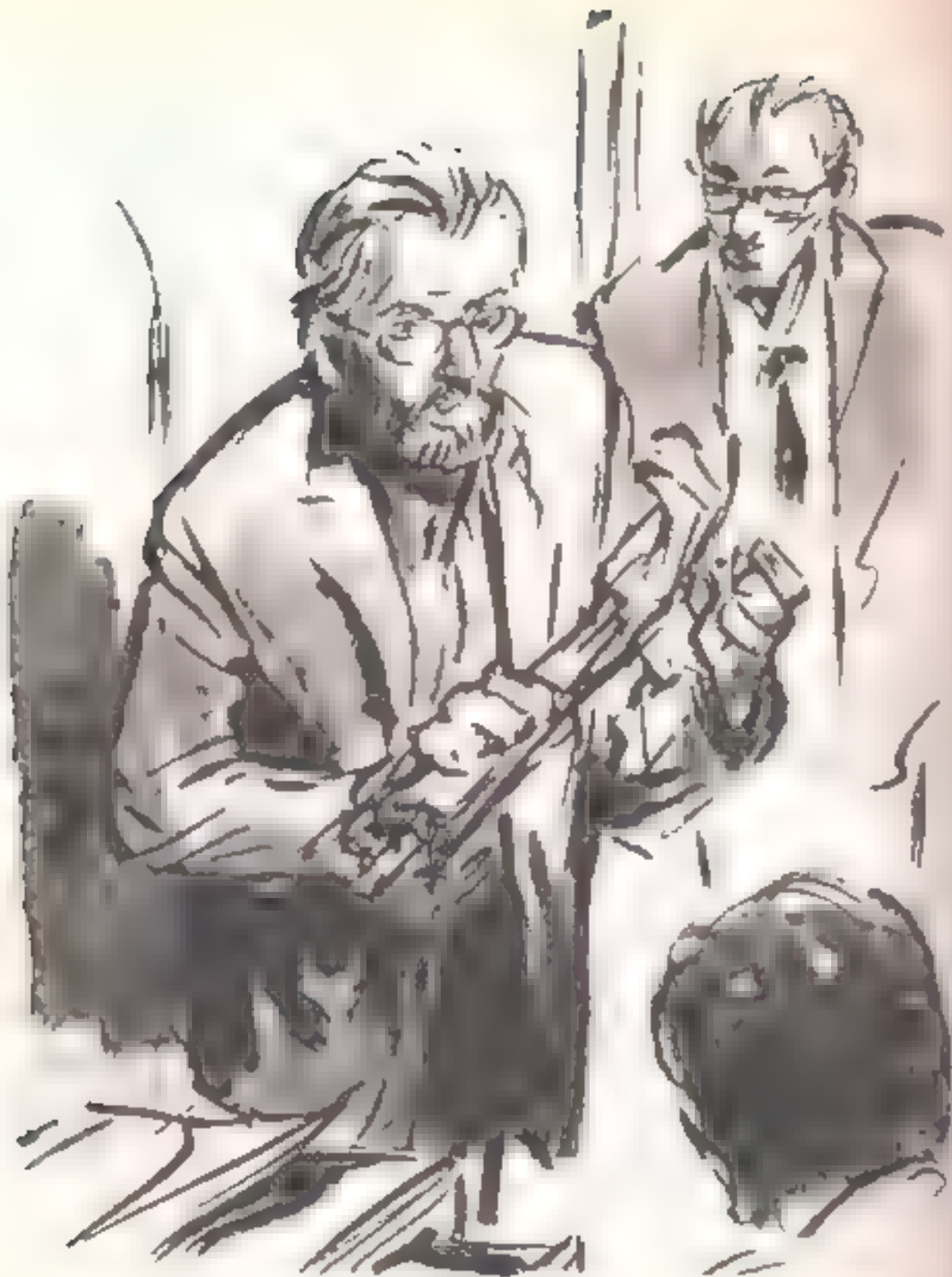
ونظر لى للمرة الأولى بعينه الزرقاوين ..
وأردف :

- « الشيء الذى كان فى حجرى !! »

كما نتوقع جن جنون (رمزى) .. هرع إلى
اللفافة وفتحها بيدين ترتجفان .. أخرج الشيء
الرهيب منها ، وراح يتأمله فى انبهار وقد أعاد
عويناته إلى أنفه .. برغم أننى طبيب ، بل وقمت
بتشريح مومياء من قبل ، فباتنى وجدتنى أتحاشى
النظر إلى ما يحمله .. لقد اكتسبت هذه الذراع قيمة
كابوسية ثرية بحق .. قيمة تتجاوز بمراحل ذلك
الاشمزاز التقليدى الذى نستشعره تجاه الأشياء
الميتة ..

صاح د. (رمزى) فى حماسة :

- « رابع .. أعتقد أنها أصلية بالفعل فلا أثر



أخرج الشيء الرهيب منها ، وراح يتأمله فى انبهار وقد أعاد عويناته
لى أنفه

للتلفيق فيها .. لكن المعاملة القاسية التي لاقتها في
أثناء موضوع (يد المجد) هذا قد غيرت لونها
وتماسك أنسجتها .. »

قلت في ضيق :

- « ألا تدري شيئاً غريباً في هذا كله ؟ »

- « بلى .. الأظفار طويلة جداً وهذا ليس شائعاً
في »

- « أتكلم عن زائر الليل الذي أعاد الذراع للرجل ..
الأمر واضح .. إنه يريد من (تورلسون) أن يعيدها
بنفسه .. ولا يلجأ لأحد .. سيظل الكابوس يطارده
كلما حاول الخلاص من هذه الذراع » .

قال وهو يعيد لفها وقد بدا واضحاً أنه سيأخذها
معه :

- « لا أدري إن كنت محقاً أم لا .. لكن الأمر سيان
عندي .. نحن سنجد المقبرة أولاً ، ويمكن لصاحبك
وقتها أن يعيد الذراع بنفسه .. والآن أقترح أن تجد
حجرة في هذا الفندق لتعني به ، وتكون قريباً منه .. »

- « سأحاول .. وأنت ؟ »

- « إن أمامي عملاً كثيراً .. »

ثم راح يغمغم كأنما يكلم نفسه :

- « الأظفار .. الأظفار .. هووووم .. هذا غريب ! »

* * *

بعد يومين ، وفي العاشرة صباحاً اتصل بي
د. (رمزي) في الفندق ، ولم أدر أين بات ليلته لكنه
كان نشيطاً كبير غوث .. قال لي إن تحريات شرطة
السياحة أثمرت ، وإن هناك بالفعل مقبرة منسية في
الجبل ، يبدو أنها كانت مدقناً لعامة الشعب .. كان
بعض الترجمات يعرفها ، وبالذات الرئيس (خميس)
الذي كان يلبي بعض الحاجات الخاصة لمن يدفع
الثمن ، وكان يلجأ كثيراً للسرقة من هذه المقبرة ..
الغريب هنا أن النقوش على المقبرة تعود لعهد
الأسرة الرابعة ، وهذا غير مألوف ..

- « وما هو الغريب في هذا ؟ »

- « الأسرة الرابعة هي التي كان ينتمي لها (خوفو) وسواه .. أسرى بناء أهرام .. في هذا العهد لم يكن لـ (طيبة) أية أهمية ، ولم يكن أحد يدفن موتاه هناك .. لم تبدأ أهمية الأقصر إلا مع الأسرة السادسة ، وكما قلت لك ، لم يدفن هنا ملك إلا في الأسرة رقم 18 .. هل فهمت الآن سر دهشتي ؟ »

- « هذه الأشياء تحدث .. »

- « تحدث بالنسبة لغير متخصص مثلك ، أما بالنسبة لي فكان على أن أجد الإجابة .. والإجابة كانت في النقوش .. إن صاحب المقبرة يدعى (ددى) .. هل يذكرك الاسم بشيء ؟ »

لحسن الحظ لم تكن أغنية (شباب خالد) الشهيرة قد ظهرت أيامها ، وإلا لبدا ردى سخيلاً يصييه بنزف مخرى .. فقط قلت إننى لا أعرف .. قال فى استمتاع :

- « (ددى) - الذى أعرفه أنا - هو الساحر

الخاص لدى (ددف حور) ابن (خوفو) .. كان يعيش فى عهد الأسرة الرابعة فى (دد ستفرو) ، وكان عمره مائة عام لكنه كان يأكل يومياً 500 رغيف وفخذ عجل ، ويشرب مائة جالون من الجعة .. هكذا تقول البرديات^(*) .. »

- « ماشاء الله .. ما أهمية هذا الغول لما نحن بصدده ؟ »

قال فى حيرة كأنما يفكر بصوت عال :

- « لو كان هو نفس الرجل ، فلماذا اختار الأقصر بالذات ليدفن فيها ؟ إتنا لانعرف شيئاً عن مقبرته ، لكن الدلائل حتى الآن تقول إنه هو الساحر الشهير .. وهذا هو الغريب فى الموضوع .. يبدو أنهم دفنوا الرجل هنا على سبيل المنفى .. »

- « إن البرديات تتكلم عن اتبهار (ددف حور) ابن (خوفو) بهذا الساحر ، وكيف حكى لأبيه عنه

(*) كما هو واضح .. الشخصية حقيقية ، وما ورد عنها هنا معروف

فى لتاريخ الفرعونى

أغرب الأشياء ، من ثم استدعى الأب الرجل ليرى ما هو قادر عليه ، وكان استعراض الرجل مبهرًا : لقد طلب من (خوفو) - والكلام كلام البرديات - أن يقطعوا له رأس بطة وفرق بينه وبين الجسد .. بعد تلاوة عدة تعاويذ طار الرأس ليلتحم بالجسد ثانية .. نفس الشيء تكرر مع ثور .. وقد عرض (خوفو) - الكريم النفس - أن يجروا التجربة ذاتها على مسجون يقطعون رقبته ، لكن (ددي) رفض ذلك في أدب .. »

- « فيما بعد تتبأ بأن امرأة تدعى (رودت) ستلد ثلاثة أبناء يستولون على الملك .. وقد ضايق هذا (خوفو) كثيرًا ، وراح يبحث عن هذه المرأة دون جدوى .. فيما بعد ولدت (رودت) هذه ثلاثة توائم هم (أوسر كاف) و (ساحورع) و (كاك) ، وهم من صاروا ملوك الأسرة الخامسة فيما بعد .. يمكن أن تفهم سبب غضب (خوفو) على المساحر إلى حد يقنه هنا »

قلت وقد راق لي الأمر :

- « أي أن هذا الأحق (خميس) لم يجد مومياء يسرق ذراعها سوى مومياء أقوى سحرة الدولة القديمة ! وهو ليس ساحرًا عاديًا بل كان يأكل 500 رغيف وفخذ عجل ومائة جالون من الجعة كما تقول !! » فطن إلى ما في الأمر من دعاية سوداء ، فضحك ضحكة مكتومة ..

- « للأسف هذا صحيح غالبًا .. »

- « ومعنى هذا أن لعنة من أقوى لعنات السحر الأسود تطارد النرويجي الآن ؟ »
- « لو افترضنا أن الأمر كله ليس كذبة .. نعم .. أعقد هذا .. »

سألته بلهجة من ينتقل للمهم في جدول الأعمال :
- « والمومياء مفقودة الذراع .. هل وجدتموها ؟ »
- « بالطبع لا .. هل كنت تحسب الأمور بهذه

البساطة ؟ القبر خال كجيبك في آخر الشهر .. أما السؤال عما إذا كانت المومياء قد سُرقَت أم أنها فتحت المقبرة وغادرتها - وهو سؤالك التالي حتماً - فأمر لا يمكن الإجابة عنه ، لأن الآثار في المقبرة تصلح للاحتمالين معاً .. للاحتمال البوليمسي أو الميتافيزيقي .. يمكن ببساطة أن تكون المومياء مخبأة في مكان لم يعرفه إلا الرئيس (خميس) .. هذا هو الاحتمال البوليمسي .. »

قلت أنا بدوري :

- « .. ويمكن أن تكون غادرت المقبرة بنفسها بحثاً عن ذراعها !! هذا هو الاحتمال الميتافيزيقي !! »

★ ★ ★



أنا المختار من بين الملايين ، الذى يخرج من
العالم السفلى ..

الذى لا يعرف اسمه أحد

إذا نطق اسمه على مجرى الماء جف ..

وإذا نطق اسمه فوق اليابسة اشتعلت النار ..

[تعويذة فرعونية قديمة]

« أفق من أغمائك فإنيك ستهزم الجميع .. لقد

انتصر (بتاح) على خصومك فلا وجود لهم .. »

[كتاب الموتى]

حين جلست مع د. (رمزي) فى شرفة الفندق ،

ترمق المدينة من بعيد فى ضوء الفجر ، كنا نشعر

أنا نستشق مع هواء الفجر أسراراً لا قبل لنا
بمواجهتها .. وأمامنا على منضدة صغيرة تتوسط
مجلسنا ، كانت لفافة بحجم منشفة الوجه المطوية ..
لفافة لا بد أن القارئ اعتاد منظرها حتى درجة
الملل ..

سألنى (رمزي) وهو قلما يسألنى على كل حال :

- « لو تبينا التفسير الميتافيزيقى لبدت لنا

القضية متناقضة .. المومياء ليست فى قبرها ،

لكنها برغم هذا تطارد (تورلسون) ليعيد ذراعها

بنفسه .. كيف يعيده وهو لا يعرف أين هى ؟ »

قلت على سبيل التفكير بصوت مسموع :

- « توجد احتمالات عدة .. من العسير أن يفكر

المرء كمومياء ، وربما كانت المومياءات لا تفكر

بشكل منطقى .. ربما هى تحاول إثارة زعر (تورلسون)

فقط حتى يجن أو ينتحر ، وهذا على سبيل الانتقام ..

الاحتمال الثانى أنها تطالبه بالعثور على مقبرتها

الجديدة ، باعتبار هذه مشكلته .. الاحتمال الثالث أنه

لا شيء يطارده (تورلسون) وأن الرعب أفقده عقله
تماماً .. وتكون القصة عن (حميدة) وعودة الذراع
مجرد هلاوس سمعية بصرية .. »

- « من العسير أن تجد الحل .. وأعتقد أن الصواب
الوحيد هو أن نتصل بالسفارة النرويجية .. لا بد أن
لديهم مصحات نفسية متقدمة حقاً .. إن احتمال
انتحاره يتزايد من ساعة لأخرى ، خاصة وهو من
قوم مولعين بالانتحار على سبيل التسلية .. لا أريد
أن تتحمل مسئولية كهذه ، ولا أن تحمل ذنبه على
كاهلك ما حييت .. »

فكرت قليلاً ووجدت كلامه منطقياً .. أنا لم أتخل
عن صديق من قبل ، ولسبب بسيط هو أن أصدقائي
قليلون جداً .. لهذا لن أتخلي عن هذا الرجل الذي
كان عالماً مرموقاً ، إلى أن دمرت هذه الألعاب
الخطرة جهازه العصبي .. وكان لي رجاء أخير طلبته
من (رمزي) :

- « أعد الذراع إلى المقبرة .. فمن يدري ؟ »

- « فكرت في هذا ، وأعتقد أنني أستطيع ترتيبه
برغم أن الأمر صار أكبر مما تظن .. »

هنا سمعنا صوت صراخ هستيري مجنون ينبعث
من خارج الغرفة .. تبادلت النظر مع (رمزي)
لحظة ثم هرعنا نركض - بقدر ما سمحت به لياقتنا -
نحو مصدر الصراخ .. كان هذا الصوت من غرفة
(تورلسون) المجاورة لحجرتي .. وقد نسيت أن
أخبرك أنني حولت الأخير إلى (نبات) أو (خضار)
كما يقول الأطباء .. وذلك بكل المهدئات والمنومات
التي جعلته يبتلعها ، وقد وجدت أن حماية شخص
شبه مخدر أفضل بكثير من حماية شخص يقظ ..

كان بعض النزلاء قد خرجوا من غرفهم ، وبعض
العاملين بالفندق جاءوا لا يعرفون ما ينبغي عمله ..
كان باب الغرفة مغلقاً لكن المفتاح كان معي ..
فتحت به يد ترتجف ، ودلفت إلى الداخل .. إلى
الحجرة التي كان ضوء الفجر الناعس يغمرها
ويكشف تفاصيلها على استحياء ..

كان (تورلسون) جالساً على طرف الفراش ..
أشقر جداً .. أزرق العينين جداً .. أحمر البشرة جداً ،
وكان يضحك .. يضحك ضحكة غريبة ماجنة أعترف
أنها لم ترحنى كثيراً .. وحين رأنا قال كلمت ما بقلقه ،
ثم عاد يترجمها بالإنجليزية :

- « كان هنا .. وكان يرمقتى دون كلام لفترة
طالت ! اعتقد أنه كان يقف جوار فراشى من البداية
وأنا نائم كالثور لا أدري بشيء .. »

سألنى أحد رجال الفندق الذين دخلوا خلفى :

- « سيدى .. ماذا يقول ؟ هل نستدعى الشرطة ؟ »

- « لا داعى .. يبدو أنه رأى كابوساً .. »

نظر لى فى شك ، وأراد أن يقول شيئاً عن
احتفاظلى بالمفتاح ، بينما صاحب الغرفة لا يملكه ، ثم
عدل عن هذا ، وأشار إلى المحتشدين عند الباب كأنه
يعيد دجاجاً إلى عشه :

- « انتهى الأمر يا حضرات .. لقد رأى الخواجة

كابوساً .. »

تفرق الواقفون ، على حين جلست على حافة
الفراش ، ونظرت إلى الترويجى عاجزاً عن الكلام
فقال هو :

- « إذا كنت تتوى أن تحبسنى هنا ، فمن العدل
أن تظل معى .. لا تتركنى سجيناً أواجه أشباحى
الخاصة دون منفذ للهرب .. »

ما ضايقتى هو أن شيئاً من الرعب لم يبد على
وجهه ، بل احتفظ بذلك التعبير الساخر العايب ..
وهذا مخيف فى حد ذاته .. هذا الرجل مجنون أو
ممسوس أو كلاهما معا ..

قلت له وأنا أتحاشى النظر لوجهه :

- « هذا عايل ، ولسوف أظل معك هنا .. لا تقلق .. »

هنا دخل د . (رمزى) ووقف وسط الحجرة
مفكراً ، ثم قال بالعربية :

- « السفارة الترويجية .. لا يوجد حل آخر .. »

لسبب ما فهم (تورلسون) هذا الكلام ، فصاح
فى هستيريا :

- « كلا .. لن أتركهم يرحلوننى لأواجه ذات المشكلة
فى الوطن ! لو كان هناك حل فهو هنا .. »

- « نعم .. نعم .. أعرف .. لا تقلق .. سنغنى
بك .. »

قال (رمزى) وهو يدس يديه فى جيبي سرواله :
- « ثمة أمر آخر مهم .. بينما كنت أنت تتكلم
معه عدت أنا إلى الشرفة لأسترد الذراع ، التى
نسيتها ونحن نجرى إلى هنا .. طبعاً من نافذة
القول أن أخبرك بأنها اختفت !! »

جاء الليل ..

جاء بالسرعة الجهنمية التى قلت لك إنها لا تحدث
إلا فى أفلام (هامر) القديمة ، وحيث تغرب الشمس
ويسود الظلام فى الوقت القصير الذى ينزل فيه بطل

تفيلم إلى القبو ، ويفتح تابوت مصاص الدماء ..
كان هذا يستغرق عشر ساعات !

كنت أنا الآن ألعب دور البارون (فان هلسنج)
الماهر جوار فراش (لوسى) .. لولا المبالغة
لغقت حزم الثوم على النافذة ورششت الغرفة بالماء
مقدس .. فى مواجهتى الأولى مع لغة الفراغة ،
لعب العسل والبصل دوراً مهماً فى حماية (هويدا)
ومن معها ، لكننا وقتها كنا نعرف ما نحن بصدده ..
أما الآن فانا أكذب لو قلت إبنى أعرف ما يدور هنا ..

فى الفراش يغفو (تورلسون) بتلك الطريقة
المتقطعة المضطربة .. صوت جهاز التكييف الرتيب
يتردد فكأتما يوسوس بالنعاس إلى ذهنى المكدود ..
(رمزى) فى مكان ما - لا أدرى أين - ولم يعد
للقاهرة بعد .. فى يدى كتاب سخيف عن (المسرح
النحوى) ، وهو كما ترون ليس بخير السبل
لمكافحة النعاس .. إنها الآن الثانية صباحاً ..
سيطلق سراحى فى التاسعة ، لأنه وقت تدب الحياة

فى المكان ويمكننى أن أعود لفرفتى لأغووووص فى
الفراش .. أقسم إننى سأنام وقتها عشر ساعات
متواصلة وربما للأبد ..

المشكلة هى أننى فى مأزق ولا أعرف كيف
أخرج من هذا كله ولا متى ينتهى .. الحل الوحيد
هو العودة بالنرويجى إلى القاهرة والخلاص منه
بشكل أو بآخر ، لكن على الانتظار حتى يهدأ قليلاً ،
وإلا ملأ الدنيا صراخاً ..

فى الثالثة صباحاً سقط الكتاب من يدى .. وسقط
رأسى على صدرى ..

لا بد أننى لم ألبث فى هذا الوضع إلا نصف ساعة
أو أقل .. شىء ما جعلنى أفتح عينى من دون سبب
ظاهر .. كنت قد خفضت الإضاءة بشكل يسمح لى
بالأزعج النائم ، وفى الوقت نفسه أستطيع القراءة .
وفى هذا الضوء الخافت رأيته ..

لم أر النائم طبعاً بل ما يدنو من فراشه ..

* * *

« لكن دعنى أقل لك إن من يله بالنار يحترق بها ..
وهذه الأشياء ليست للهو .. »

* * *

كان رجلاً .. لا بد من أن أكون دقيقاً فى هذا
الصدد .. لم يكن تلك الشخصية الملفوفة بالضمادات
كما عودنا (بوريس كارلوف) فى أفلامه عن
المومياء .. لو شئنا الدقة أكثر لقلنا إنه رجل عادى
المظهر تماماً ويرتدى ثياباً عصرية رثة قليلاً .. كان
رأسه مائلاً بشكل غير معقول على كتفه ، وهذا
وضع غريب لكنه ليس مستحيلاً ..

فقط لاحظت أنه من دون ذراع اليمنى ، وأنه يحمل
فى ذراعه اليسرى لفافة .. لم أتحرك ولم أكن راغباً
فى التحرك .. ظللت جالساً كما كنت ورأسى مائل
قليلاً للأمام .. أغمضت عينى لأختلس النظر بين
أهدابهما ، وخطر لى أنه من الخير ألا يعرف هذا
القادم أننى متيقظ .. عرفت بالفريزة أن أية حركة
مفاجئة قد تؤدى إلى ما لا تحمد عقباه ..

وضع ما يحمله على الفراش جوار النائم النعس ،
ثم استدّار ليرمقنى .. كان هذا هو الشيء الوحيد
الذى جعلنى أدرك أن ما أراه خارق للطبيعة حقاً ..
كانت عيناه بلا حدقتين ، وكان لونهما أحمر كالدم ..
كالطماطم .. كستائر مصاصى الدماء ..

كانت لحظة خاطفة لكنى شعرت كأنها دهر ،
وأثنى موشك على الصراخ كالأطفال .. ثم استدّار مبتعداً
ليدور حولى .. كان وراء ظهرى الآن ، وشممت
رائحة لا أستطيع وصفها بأنها كريهة .. منفرة نعم
لكنها ليست كريهة لو كنت تفهم ما أعنيه .. رائحة
غريبة لا تنتمى لشيء أعرفه .. رائحة تعيدك إلى
ذكريات لم تعيشها ، ووجوه لم تلقها ، وأماكن لم
تزرها ، وخبرات لم تكتسبها ، وكلمات لم تسمعها ..
إنه خلفى الآن ! ماذا يفعل بالضبط وماذا ينوى ؟

* * *

٢٠

صحوت من النوم ظهراً كما توقعت .. كنت
منتعشاً تماماً ، وإن أثقل كاهلى التفكير فيما على أن
أفعله اليوم من حراسة (تورلسون) .. خرجت إلى
الشرفة واستنشقت نفساً عميقاً جعلنى أسعل ، ليس
الهواء النقي مما يناسب صدرًا كصدرى ..

ارتديت ثيابى واتجهت إلى غرفة الرجل ، وقرعت
الباب مراراً كما أفعل قبل أن أفتحه دوماً ، فلم يرد
أحد .. غريب هذا ! حتى فى غيبوبته لا يفوته أن
يسمع صوت طرقاتى من عالم الحلم .. كان الباب
موصداً فلخرجت المفتاح من جيبي ودسسته فى الثقب ..

دخلت الغرفة فوجدت .. لا لم أجد شيئاً .. كانت
خالية كعقل (هويدا) خطيبتى السابقة ، وكان
الفراش مضطرباً لكن لا أحد عليه .. الغرفة فى حالة
فوضى توحى بأن حركة صاخبة حدثت هنا .. حركة

صاخبة لكنها لا توحى بمعركة .. ولم تكن هناك إلا
تلك الراححة الغريبة التي وصفتها لك ..

بحثت عن ثياب (تورلسون) فلم أجدها .. لقد
خرج .. غالباً خرج بإرادته .. ولكن أين ؟

رفعت السماعه وطلبت الاستقبال .. جاعنى صوت
الموظف يتساعل فى غلظة عما أريد ..

- « هل رأيت نزيل الغرفة 116 ؟ طبيب نرويجى
اسمه (تورلسون) .. (يوهان تورلسون) .. »

قال فى ملل :

- « إنه فى المستشفى يا سيدى .. ألم تشعر بالأمر ؟
لقد كان الجميع هنا فى الصباح .. »

- « فى المستشفى ؟ والسبب ؟ »

- « محاولة انتحار .. لقد ابتلع علبه كاملة من
المنوم .. »

- « علبه منو ؟ وهل مات ؟ »

- « سبحان الله ! أقول لك إنه فى المستشفى ..
أنا أتكلم العربية يا أستاذ .. »

لسبب ما يكرهنى هذا الرجل كأتنى قتلت زوج
عمته وهربت .. ولكن لحظة .. أين فعلها النرويجى
إذا كنت أنا الآن فى غرفته ، وكيف فتحوا الباب إذا
كان المفتاح معى ؟

تجاسرت وسألت الموظف العصبى عن هذا ، فقال
بنفس الصبر النافذ :

- « لقد قرع الجرس ثم غاب عن الوعى ، وقد
اضطررنا لفتح غرفته بمفتاح (الماستر كى) .. يبدو
أنه راجع قراره فى اللحظة الأخيرة وحاول الاستغاثة
بنا .. لو لم يفعل لكان فى المشرحة الآن .. »

ولم أنتظر أكثر .. وضعت السماعه وقررت أن
أغادر الغرفة حالاً .. من الواضح أن أحداً لم يربط
بينى وبين النرويجى بعد ، لكنهم سيفعلون هذا
سريعاً ، ولسوف تنقلب الأرض لتخرج ما فيها من
ديدان فوق رأسى .. لماذا كنت أحتفظ بالمفتاح معى ؟

ولماذا قضيت الليل في غرفته ؟ ولماذا حبسته فيها ؟
إن هناك على الأقل شاهدين على ذلك من موظفي
الفندق .. تفسير هذا يطول جداً ..

هناك سائح في الموضوع وانتحار وقضية سرقة
آثار .. والكثير جداً من القانورات التي تحتاج إلى شهر
كي أخرج نفسي منها ، حتى لو ساعدني (رمزي) ..
عدت إلى غرفتي شارداً الذهن ، فاستلقيت على
الفرش بثيابي أفكر ..

أين د . (رمزي) من كل هذا ؟ وأي شيء يفعله
بالضبط وأنا في هذا السيرك الذي نصب خيامه في
هذا الفندق ؟ يجب أن أذهب إلى المستشفى لأعرف
ما حدث للرجل ، لكن كيف أسأل عنه دون أن أقسر
من أنا ؟

يبدو أن الحكمة تقضي بأن اتصل بـ (رمزي)
وأخبره أنني عائد إلى القاهرة .. أنانية ؟ لا أنانية
هنا .. إن المشكلة ليست مشكلتي ، ولست أنا من

مارس السحر الأسود على نراع مومياء .. (تورلسون)
فعلها وعليه أن يدفع الثمن ..

ثم تعال هنا .. لن أكون أسوأ من (جان جاك
روسو) الذي أنجب خمسة أطفال تخلص منهم تباعاً
على باب الملجأ حتى لا يشغلوه عن الفلسفة ..
وفيما بعد كان يمشي جوار أعز صديق له في
الشارع ، حين أصيب هذا الأخير بنوبة صرعية ..
عندها تركه الأديب العظيم وجرى ، ولم يره منذ
ساعتها قط !!!

ليس (تورلسون) ابني وليس أعز صديق لي ،
كما أنني لست (جان جاك روسو) !! لهذا ساهرب
من هنا ولن أشعر بذرة ندم .. وكما يقولون :
« على من يتناول طعامه مع الشيطان أن تكون
ملعقته طويلة .. » و ...

« إن من يله بالنار يحترق بها .. وهذه الأشياء
ليست للهو .. »

واتجهت لأفتح خزانتي كي أحزم ثيابي ، حين وقعت عيني على اللغافة الموجودة على الرف .. لغافة تشبه المنششفة المطوية .. لغافة تبدو مألوفة إلى حد كبير ..

ماذا أتى بهذا الشيء الكريه هنا ؟؟ أم هل أقول من ؟

وجلست على الفراش أفكر في معنى هذا .. الرسالة واضحة ولا تحتاج إلى ترجمة .. أما وقد هلك (تورلسون) أو المفترض أنه هلك ، فعلى أن أحافظ على هذا الشيء وأن أعيده بنفسى ..

هل أتلقى إذن دورى من هذه المطاردات الليلية المخيفة ؟

إن أمامي حلاً واحداً ممكناً هو أن أفر فرارى من الأسد .. لو كان توقعي صحيحاً فلسوف يلحق بي الكابوس في القاهرة .. لكنى سأهرب على كل حال ، ولكن ليس قبل أن أكلم (رمزي) لأخبره وأطلب منه مطلباً أخيراً ..

لم يطل انتظاري لحسن الحظ لأن (رمزي) جاء في هذه الأثناء من الخارج .. كان مرهقاً يحمل أوراقاً كثيرة ، ودخل غرفتي ، وألقى بما يحمله على الفراش ، وتهد وهو يلقي جسده إلقاءً على مقعد :

- « كان يوماً عصيباً .. مارلنا غارقين في منات الأسنلة .. إن تلك المقبرة غريبة جداً ، وقد نهبت بعنف .. بتوحش .. كأن هذا الرئيس (خميس) لم يكن يفعل شيئاً طيلة حياته سوى سرقها .. »

ثم رأى وجهي الممتنع فقال :

- « ما بك ؟ تبدو كأنما قتلت قتيلاً .. »

- « تقريبا .. »

وألقيت بالذراع المنفوفة - التي لم أحبها قط - على حجره .. فأجفل قليلاً ، ثم نظر لي غير فاهم :

- « ألم تختف أمس ؟ أين كانت ؟ »

- « لختفت وعالت ! لقد أعادها لي المسخ مع عبارة

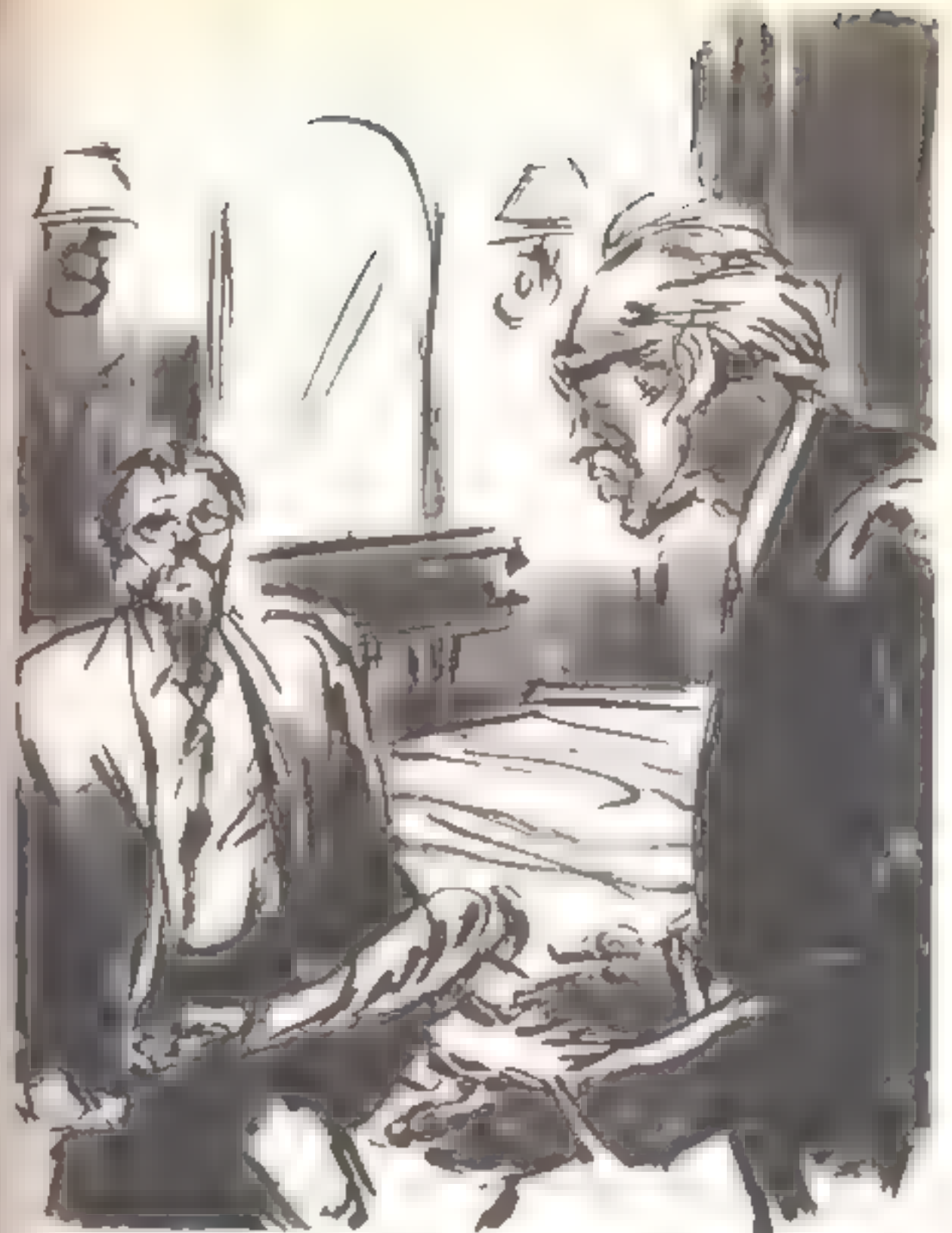
من قبيل (إلب لعية أخرى) .. وثمة خبر آخر :
لقد انتحر (تورلسون) ! بعبارة أدق حاول الانتحار .. »

من الواضح أنه أحقق مثلي لأنه لم يبد على أدنى
علم بهذا .. هذا طبيعي لأنه لم يدخل الفندق منذ
عشرين ساعة كاملة أو أكثر .. رفع حاجبيه عاجزاً
عن توجيه السؤال (كيف) ثم عاد إلى صوابه ..
سألني في لهجة لائمة :

- « تباً لك من مهمل ! ماذا كنت تفعل جوار فراشه
طيلة الليل إذن ؟ تغط في نومك كالديبة ؟ »

- « حدث هذا في الصباح بعد انتهاء ورديتي ..
وعلى كل حال لم يتضمن عقدي ضماناً بألا يموت
هذا الرجل للأبد .. »

وله حكيت بالتفصيل ما عرفت في الساعات الأخيرة ..
كان يصغي لي محتفظاً بوقاره باعتبار أن الدهشة
تقلل من وسامة المرء المندesh .. وحين فرغت من
قصتي قلت له متوسلاً :



- « يجب .. يجب أن تخلصني من هذه الذراع ..
أعدها للمقبرة وادفنها أرجوك .. »

فكر حيناً ثم سألتني :

- « هل تعتقد أن اللعنة ستنتهي بهذا الشكل ؟ »

- « لا أعرف سبباً آخر .. عندما تشم رائحة
غاز في شفتك ، ابدأ بغلق محبس الغاز ثم ابحث عن
سبب آخر محتمل لهذه الرائحة .. »

- « ليكن .. »

قالها وهو ينهض وينظر إلى ساعته :

- « إنها الثالثة بعد الظهر .. سأتناول لقمة ثم
أمر عليك لتتوجه إلى المقبرة .. ليس الدخول سهلاً
كما تعلم ، فهي تقع تحت سلطة السياحة الآن ..
لكنني سأجد طريقة ما .. »

نظرت إليه باحناً عن كلمات بليغة فلم أجد إلا :

- « شكراً يا (رمزي) .. »

- « عفواً يا (رفعت) .. »

إن الصديق الذي يعين صديقه على التخلص من
مطاردة مومياة لهُو صديق نادر في هذا الزمن ..
هذه حقيقة لا بد من الاعتراف بها ..

في المساء كنت في القطار متجهاً إلى القاهرة ..

وصمت على أن أترك هذه الأحداث خلف ظهري ..
« سأترك معول النسيان كي يعنى بأنقاضي » كما
كنت أقول في قصيدة قديمة لي .. بينما (تورنسون)
يستطيع العناية بنفسه أو تستطيع السفارة النرويجية
أن تعنى به ..

عدت لممارسة عملي بعد انقطاع .. كانت هناك أشياء كثيرة متراكمة على كاهلي ، وقد قضيت اليوم التالي كله أنهيها .. أجريت بعض اتصالات مهمة ، وبحثت في كتبي كثيرا .. ثم نظرت إلى تقويم المكتب .. إنه الحادي عشر من أغسطس .. لشد ما يمر الصيف بسرعة ، وأنا الأحق الوحيد الذي قرر أن يقضيه في الأقصر .. حقاً لبثت هناك فترة لا بأس بها ، وكنت أقف تحت (الدوش) عشر مرات يومياً ، حين أدركت أن قطرة الماء تنحدر على جلدي لتتحول في أثناء انزلاقها إلى عرق مالح ..

في الثانية عشرة ظهراً توجهت إلى الكلية ، وكانت خالية على عروشها ، لا ترى هنا أو هناك إلا عمالاً أو موظفين صرعههم الحر .. ويتمنون في صبر أن ينتهي اليوم سريعاً ..

مشيت في تلك الردهة الخالية المؤدية إلى المشرحة ، ورائحة المظهرات و (الفورمالدهايد) الكريهة تحرق عيني .. صوت كعبي حذائي هو الصوت الوحيد في هذا السكون المطبق .. لحسن الحظ لا يوجد أحد من الأطباء هنا ، لأنني لست رائق المزاج للمجاملات ، والسؤال عما إذا كنت تزوجت أم لا ولماذا ؟ لا سمح الله .. بعدها يأتي دور زجاجة (الأسفرا) أو (السباتم) - المشروبان السعيدان في تلك الأيام .. وكلاهما كريه المذاق في رأيي ، لكن لا بد من الشرب حتى لا أتهم بتعمد الإهانة ..

وحيداً اتجهت إلى قاعة التشريح الكبيرة .. ولم يكن هناك كثير من الجثث على المناضد الرخامية لأننا في نهاية العام الدراسي .. لقد انتهى الطلبة من تمزيقها تمزيقاً فلم تعد إلا أشلاء كبقايا قنبلة (هيروشيما) ..

نظراً لقلة الضبط والربط في هذه الآونة من العام ، كان العمال جالسين يعدون الشاي في ركن القاعة ويدخنون .. شاي (السبرتاية) ذكي الرائحة ذو العبق

الخاص ، خاصة في عهد ما قبل السخانات الكهربائية ..
هذا هو عم (أبو اليزيد) أقدم العمال هنا وأضخمهم
والذي أوصلته مكاتته وقدمه إلى ما يشبه الرمز للكلية ،
وحتى العميد نفسه لا يستطيع إلا معاملته باحترام
وتبجيل ..

أشرحت لأنه هنا ، ولأنه ما زال حيًا برغم أنه
بصاحب بمرطبان المئات كل عامين .. وكانت بيننا
علاقة حميمة من زمن ..

- « تفضل يا دكتور .. شاي ؟ »

هكذا سألتني وهو جالس ، وما كنت لأرحب بأن
يقف لي على كل حال .. إتنى عاجز تمامًا عن
التعامل بفعال مع من هم أقل مني مالاً أو مركزاً ،
لأنني أنظر إلى محتواهم الإنساني الذي قد يكون ثرياً ..
ربما أفضل مني بمراحل .. والبعض يعتبر هذا (قلة
قيمة) مني لكنني لا أستطيع أن أكون شخصاً آخر ..
هزرت رأسي موافقاً .. إن شاي المشرحة لا يرفض بحال ..

وجلست جواره نشرب الشاي الأسود عطر الرائحة
ونتبادل كلمات مجاملة عن حال الدنيا والناس .. وكان
له رأي دائم هو أن « النفوس لم تعد صافية مثلاً
كانت زمان » .. وكان يردد منذ عرفته من خمس
وعشرين سنة حتى إتنى لا أفهم متى كانت النفوس
المذكورة على ما يرام ؟

في النهاية جاء بيت القصيد ، وكان زملاؤه قد
انصرفوا يبحث كل منهم لنفسه عن عمل ، فدنوت
منه وهمست :

- « عم (أبو اليزيد) .. من أين تأتون بالجثث
التي نشرحها هنا ؟ »

بدا عليه الارتياح ممزوجاً بعدم الفهم .. هل
سؤالي هذا نوع من الاتهام ؟ والحقيقة أن تهمة
نبش القبور مسطرة دوماً على عنق كل عامل هنا
وعليه أن يثبت العكس .. قال في ضيق :

- « أنت تعرف يا دكتور .. ناقصو الأهلية الذين

لم تجد للشرطة أهلاً لهم أو الذين رفض أهلهم استلام
جثثهم .. »

- « ولماذا يرفض الأهل استلام جثة قريبهم ؟ »

أشعل لفافة تبغ وأخذ نفساً وبصق وقال :

.. « هذا يحدث كثيراً مع الجواسيس الذين يعدمون
ويتبرأ أهلهم منهم ، أو مع ابن فاسد أتعب أهله
وجعل يوم إعدامه عيداً لهم .. هؤلاء يتركون الجثة
فتسلمها النيابة لكلية الطب .. »

فكرت حيناً ثم سألته :

- « هل تجيء حالات إعدام كثيرة ؟ »

- غالباً نعم .. »

وأشار باللفافة المشتعلة إلى الغرفة المجاورة
حيث الثلاجة ، وقال :

- « هناك واحد جاء من يومين ، ولم نعهده بعد ..

لا أعرف تهمته لكنه شئق على كل حال .. »

صحت في نشوة :

- « أي أن جثته موجودة ومتاحة ؟ »

- « نعم .. ولكن لماذا تسأل عن هذه الأمور ؟ »

ملت بوجهي نحوه وأخبرته همساً بما أريد ..
وما أريد كان غريباً لم يعتده ، لكنه يتوقع هذه
الطلبات الغريبة من الأطباء .. هناك من يجمع
الزوائد الدودية الخارجة من غرف الجراحة ، ومن
يجمع المشيمات من أقسام التوليد ، و (روبرت
كوخ) العظيم كان يدور على السلخانات يجمع عيون
الثيران المقلوعة ، والسبب أنه وجدها الوسط الأكثر
ملاءمة لزرع بكتريا الجمرة الخبيثة ..

هز رأسه في تردد ، فقلت :

- « وسأدفع ما تأمر به .. »

ودسست في جيبه بعض الأوراق المالية ، فهز
رأسه دون أن يحاول منعي :

- « ليس الموضوع موضوع مال .. المشكلة هي

أن »

ثم حزم أمره ، فقال لى وهو يلقي بلفافة التبغ
على الأرض ، ويدوسها بحذاته العملاق :

- « ليكن .. تعال غداً فى العاشرة صباحاً ، ولسوف
تجد الأمانة جاهزة .. »

وانصرفت مغفماً بالأمل والرضا .. هذه عقبة
كاداء تم حلها بطريقة لم أتخيلها ..

★ ★ ★

فى الأقصر فى الوقت ذاته ..

كان د . (رمزى) يعيش أحلك ساعاته ، وهو
واقف وسط التراب فى المقبره الفرعونية الخالية ..
كان معه اثنان من الأتريين ، وقد حمل أحدهما كشافاً
عملاقاً مما يوصل ببطارية سيارة .. وسلطها على
النقوش الجدارية التى تشير إلى حياة المتوفى وإلى
ما يتوقع أن يفعله عند البعث ..

كان القبر رطباً خائفاً ، والتراب يملأ كل شيء ..
وقد اختلط العرق بالغيار صانعاً مزيجاً يسهل معه أن

تتحرر .. لكن د . (رمزى) كان يملك ما يكفيه من
متاعب بحيث لا يحتاج إلى المزيد ..

سأل أحد الرجلين وهو يضع المنديل على أنفه :

- « هل أنت متأكد من هذا ؟ »

- « بالتأكيد .. إن خبير اللغة الهيروغليفية يؤكد
ذلك .. »

- « كنا حمقى إذن .. »

صمت الرجل الآخر تأدباً ، وإن بان فى عينيه أنه
فعلاً يؤمن أنهم حمقى ..

قال (رمزى) وهو ينظف بيده الحرة بعض
النقوش الجدارية :

- « هذا يتمشى مع المنطق إذن .. هذه المقبرة
لا تخص الأسرة الرابعة ، وإنما هى تنتمى إلى عهد يليها
بكثير .. و (ددى) ليس هو ساحر ابن (خوفو) ..
إنه (ددى) آخر .. »

- « هذا واضح .. »

- « وهل تكلم ابن الرئيس (خميس) هذا ؟ »

قال الرجل حامل الكشاف :

- « ليس بعد .. فقط يعرف أن أباه كان يجيء هنا كثيرًا ، ومن الواضح أن اثنين أو ثلاثة آخرين كانوا يعرفون مكانها .. يبدو أن عدد القطع التي سُرقت من هنا لا يقل عن العشر قطع .. »

- « مستحيل استردادها طبعًا »

- « بالتأكيد .. إن بعضها سرق من عشرة أعوام .. »

هنا تدخل الرجل الأول الذي لا يحمل مصباحًا وقال :

- « ابن الرئيس (خميس) في العشرين من عمره ، وهي سن تؤهله بالكامل لخلافة أبيه .. هذه الأسر تورث المهنة جيلًا بعد جيل .. ومعنى هذا أن الفتى يعرف أكثر مما يقول .. »

- « سيترككم .. إن ضغوطًا كثيرة تتم عليه الآن .. حتمًا سيترككم .. ليس من مصلحته قطع مصدر الرزق الوحيد للأسرة .. »

تحرك عقرب صفيير على الأرض وهو يرفع مؤخرة ذيله منذرًا بالويل ، فتراجع أحد الرجلين وأشار إلى الأرض داعيًا للحذر ..

قال د. (رمزي) - الذي لم تهتز له شعرة - وهو يشير لهم كي يغادروا المقبرة معه :

- « لنذهب قبل أن نخنق .. »

وفي الخارج كانت الشمس الحارقة تحيل الصحراء جحيماً .. وكانت الصخور الوعرة تتوهج بألف ضوء ، على حين وقف بعض الخفراء والحراس حول المكان يرمقون الخارجين من المقبرة في شك ..

قال (رمزي) وهو يثب كاللقلق فوق الصخور ، برشاقة برغم سنه المتقدمة :

- « ليتني أعرف ما فعله ذلك الأحق (رفعت) !! »

* * *

وكان الأحق (رفعت) - أنا - وقفها بيناع أشياء
مهمة من أحد المحال .. اشترى ربع كيلوجرام من
السمسم ودس الكيس الورقى تحت إبطه ..

لم أكن متأكدًا مما إذا كان السمسم يجب أن يكون
مطحونًا أم لا .. وفى النهاية قررت أنه لو كان
مطحونًا لقليل ذلك بوضوح ..

كنت فى أحد أحياء القاهرة القديمة ، تلك الأحياء
التي خلدها (نجيب محفوظ) فى قصصه .. وقد
مشيت فى الطريق حاملاً حملى الثمين ..

الآن أرى صفًا من عربات الحنطور و (الكارو) تقف
فى صف طويل ، وسائقوها قد جلسوا على جانب الطريق ،
يتسلون بتدخين (الجوزة) والسباب .. رأونى بثيابى
المتأنقة نوعًا والكيس الذى أحمله ، فراحت الأصوات
الخشنة تنادى والسعال يغلبها فى آخر كل نداء :

« حنطور يا حاج ؟ ركوبة يا افندى ؟ »

لأننى أبدو صيدًا ثمينًا فى هذا المكان ، ومن الواضح
أننى أدفع دون مناقشة ..

لكن هدفى كان محددًا وواضحًا .. توقفت فى وقار ..
أخرجت من جيبى قفازًا مطاطيًا لففت به يدي اليمنى فى
وقار .. أخرجت كيسًا بلاستيكيًا فى وقار .. اتحنيت فى
وقار ..

ثم - بوقار أيضًا - جمعت بعض روث الخيول المتناثر
على الأرض ، ووضعت فى الكيس .. ونظرت لهم
نظرة متعالية ثم استدرت منصرفًا فى وقار !

طبعًا لم أسمع أى تطبيق ساخر أو شينًا مماثلًا ،
لأن ما قمت به فاق قدرتهم على التخيل ، وأخرسهم
لبضع دقائق ..

وحين ثابوا لرشدهم كنت قد اختفيت تمامًا ..

* * *

فيما بعد عرفت أن (رمزي) دخل غرفة المستشفى حيث كان (تورلسون) ..

فيما عدا الشحوب الظاهر على وجهه الأحمر عادة ، يمكن القول إن هذا الرجل تحسن بما لا يقاس كان شبيهًا بالعنكبوت من كثرة الأكابيب الداخلة إلى عروقه .. ويبدو أنه أمضى نهارًا تصنًا مع المحققين ، ومع مندوب السفارة الذي جاء على عجل من القاهرة ..

وقف د. (رمزي) على مسافة معينة من النرويجي ، فهو لم يكن يطبق المرضى ، ويعتقد أن أي ضرر في العالم حتى لو كان جرحًا في الرأس أو محاولة انتحار ، هو معد بالتأكد يجب الابتعاد عنه .
قال له بالإنجليزية :

- « جميل .. جميل .. أرى أنك تحسنت كثيرًا .. »

ابتسم النرويجي ابتسامة شاحبة وقال :

- « جدًا .. لم أتم كما نمت في هذه الفترة .. »

هذا متوقع مع كل ما ابتلعه من منومات .. إن لم ينم فمتى ينام إذن ؟ عاد (رمزي) يسأله :

- « ولا مضايقات خاصة بأشخاص مبهمين مخيفين ،
يظهرون جوار فراشك فجأة ؟ »

- « لا .. لا .. يبدو أن الشيء قد تخطى عني راضيًا بعد هذا .. لقد نال ما كان ينتغيه .. »

قال (رمزي) في كياسة ورفق محاولاً ألا يثير أعصاب المريض أكثر من اللازم :

- « لا أدري إن كان هذا من حقي أم لا .. لكن لا بد من السؤال .. إن الإجابة ذات أهمية بالغة بالنسبة لي ولنا عامة .. لماذا وكيف فعلتها ؟ أنا أفهم الظرف النفسي القاسي الذي كنت تمر به ، لكن

لا بد من سبب ما .. سبب ما استجد وأدى لانتهيار
السد .. إننا معشر العرب نعبر عن هذا قاتلين : القشة
التي قصمت ظهر البعير .. فما هي قشتك الخاصة
التي جعلتك تتعجل هذا القرار ؟ »

ابتسم الثرويجي في غموض ولم يرد ..

عاد (رمزي) يلح :

- « هذا مهم جداً .. هل زارك ليلتها ؟ وماذا قال
لك أو ماذا فعل ؟ »

قال (تورلسون) بنفس الغموض :

- « دعني أقل لك يا د. (حبيب) إن ما سأقوله
لم أذكره في أي استجواب تم معي اليوم وأمس ..
الحقيقة أنني لم أفعلها !! »

ثم نظر له مناشداً ، وسأله :

- « هل معك لفافة تبغ ؟ »

- « لا .. ولا أطيق رائحة الدخان أصلاً .. ولكن

ماذا تعنيه بأنك لم تفعلها ؟ هل وثبت الأقراص من
الغلبة إلى فمك ؟ »

- « لا أعني هذا بالضبط .. كنت نائماً لا أعني
ما يدور حولي ، لكنني شعرت بمن يفتح فمي ويدس
فيه هذه الأقراص دساً .. ثم يتبعها بجرعة ماء ..
بعد هذا سمعته ينصرف ويغلق الباب وراءه .. قلت
لنفسي إنه يجب أن أستغيث .. أن أفعل شيئاً .. لكنني
كنت أكثر وهناً من أن أفعل ، ثم إن فكرة الانزلاق
البطيء إلى عالم مظلم بارد ساكن راقت لي كثيراً ..
هل تعرف قصيدة (الغابة مظلمة باردة) ؟ »

- « (.. لكن هناك مسافات يجب أن أقطعها
ومواعيد يجب أن أحفظها قبل أن أنام ..) .. أعرف
أعرف » - قالها (رمزي) بنفاد صبر - « لكنك
قرعت الجرس طالباً العون فعلاً .. »

- « نعم .. أعتقد هذا .. لا بد أن جزءاً مني ظل
يتشبث بالحياة .. »

- « هنا نصل للسؤال المهم .. من فعلها ؟ »

ابتسم (تورلسون) فى غموض من جديد وقال :

- « لهذا زعمت فى كل التحقيقات أننى فعلتها فى لحظة يأس .. لم أرد أن أخبرهم بالوجه المفضل أصلع الرأس الذى كان داتيا من وجهى ، حاملاً كوب الماء والأقراص .. رأيت بين جفونى شبه المفضضة ، ولم أستطع قط أن أفهم .. لماذا يفعلها ؟ إن من أعطانى جرعة الأقراص يا سيدى هو الدكتور (إسماعيل) .. »

* * *

مررت على المشرحة فى الوقت المحدد ، وكان (أبو اليزيد) ينقل بعض الزجاجات العملاقة على عربة يد فى الردهة ، فلما رأتى ترك ما يقوم به .. اتجه إلى غرفة صغيرة ملحقة وعاد لى بكيس بلاستيكى ملفوف بحجم قبضة اليد وداخله كان شيء ملفوفاً بدوره فى ورقة جريدة ..

قال لى همساً :

- « كما طلبت يا دكتور .. »

- « هل أنت متأكد من أنه ؟؟؟ »

أشار إلى عنقه الغليظ ، وبدأ عليه الاستنكار :

- « عيب ! رقبتى لك .. »

دست بعض العملة فى جيبه بينما هو يردد أنه لا يريد مالاً وإنما يريد أن يخدم .. وحملت كنزى الثمين واتجهت إلى الخارج ..

عدت إلى البيت وجلست فى الصالة أرمق الأشياء التى أعدتها .. لا بد من أن أتصرف سريعاً قبل أن أجد الشرطة على رأسى .. هذه خطوة لا مفر منها ما دام موظفو الفندق يعرفون أننى أمضيت فى غرفة (تورلسون) تلك الليلة التى انتحر فى نهايتها .. فقط هم يبحثون عن عنوان قديم فى القاهرة .. إنه موجود فى بطاقتى الشخصية وقد دونوه فى الفندق .. لكن الطريف هنا أنه عنوان قديم فى (العباسية) لم أغيره فى البطاقة قط ، أو ربما رجال الشرطة لم يربطوا بينى وبين النرويجى ، وبعد ..

ونظرت لساعتي ..

ما زال الليل بعيداً .. حقاً لا أدري إن كان يجب حدوث هذا ليلاً ، لكن طبائع الأمور توحي لى بأن الليل هو الوقت الأفضل .. إن أمامى ثمانى ساعات تقريباً حتى يدنو ليل الصيف .. وعلى أن أجد ما أرتجى به الوقت حتى ساعتها ..

أرجو أن تكون راضياً عنى .. أرجو ألا يثير الانتظار غضبك ..

* * *

« لكن دعنى أقل لك إن من يله بالنار يحترق بها ..
وهذه الأشياء ليست للهو .. »

* * *

فى هذا الوقت - كما علمت فيما بعد - كان د. (رمزى) يمر بخبرة أخرى سيئة ، ويبدو أن كل خبراته صارت سيئة فى الآونة الأخيرة .. كان جالساً مع رائد بالشرطة يدعى (محمود) وشاب

أسمر فى العشرين من عمره ، تبدو عليه علامات الإرهاق والذعر .. طبيعى أن تبدو مرهقاً مذعوراً بعد كل هذه الأسئلة ، طيلة هذه الفترة ، وعندما تعيد القصة ذاتها تحدث ثغرات لا مفر منها

كان اسم الفتى (حميدة) .. نحن قائلناه من قبل ، لكن قليلين عرفوا أنه ابن الرئيس (خميس) شخصياً .. إنن لماذا لم يقل هذا مباشرة لـ (تورلسون) وينتهى الأمر ؟ كما قلنا آنفاً طبيعة هؤلاء القوم هى اللف والدوران ، وكل معلومة عندهم هى سر ربما أمكن الاستفادة منه فيما بعد .. البيع لا الشراء شعارهم ..

كان (رمزى) يسأله فى إلحاح :

- « أما زلت مصرأ على أنه لم تكن هناك مومياء فى المقبرة قط ؟ »

قال الفتى وهو ينظر إلى بعينه الميتين كعادة المجرمين المتلبسين :

- « أقسم لك يا دكتور إنها كانت فارغة منذ

وجدها أبى .. كانت بها بعض الآنية وتمائيل .. لكنها
كانت خالية أو هكذا عرفتھا منذ نعومة أظفارى .. «
- « وتقول إن أباك لم يأت بالذراع من لية موميا ؟ »

- « هذه جريمة يا دكتور .. لا أحد يفعل هذا ..
كان المرحوم نصابًا لكنه لم يكن لصًا ! »

- « يا سلام ! ونبش المقابر ليس جريمة ؟؟ »

- « ربما .. لكنها ليست كسرقة الآثار .. »

- « والذراع التى أعادها لك النرويجى .. ماذا
فعلت بها ؟ »

- « دفنتها يا دكتور تحت رمال الصحراء .. ماكنت
لأتمكن من إعادتها إلى صاحبها الأصلي .. »

ثم أردف وهو يسبل عينيه فى تقوى زائفة :

- « كلنا جننا من التراب وإلى التراب نعود ،
والأرض كلها أرض الله ، وقبرنا نحن الفاتين »

هنا تدخل الرائد نافذ الصبر ، وقال وهو يشعل
لغافة تبغ :

- « كفاك تمثيلاً أيها الزنديق !! إن أبوك كان
يجىء بهذه الأشياء إلى البيت ، كلما طلب منه أحد
السياح أثراً نادراً ، ويعالجها لتبدو عتيقة .. كيف كان
يفعل ذلك ؟ »

- « الله أعلم يا سيدى .. كان هناك ماء نار ،
وبوتاس كاو .. وكان يقلى بعض الأشياء فى
(طنجرة) كبيرة .. حقاً لا أعرف .. يبدو أنه سر
متوارث عن الأجداد ، بعدها كان يجففها فى الشمس
ويلفها بقماش عولج بنفس الطريقة ، ليعطى انطباع
القدم .. وكان السياح يصدقون .. لا أحد يسأل .. »

هز (رمزى) رأسه موافقاً ، وقال شارحاً للضابط :

- « هناك سوابق كثيرة من هذا النوع .. وقد
حدثت مراراً حوادث تلفيق مماثلة فى العالم الغربى
لمومياوات تعود إلى عصر الجليد ، أو طيور
ووحوش لم توجد قط .. كانت هذه أياماً سعيدة قبل
أن يتعلم العلم تحديد عمر العينات بالكربون وما إلى
ذلك .. »

أشار الضابط إلى شرطى كى يأخذ الفتى إلى
الحجز والتفت إلى الدكتور (رمزى) متسائلاً :

- « ما معنى هذا كله إذن ؟ »

قال (رمزى) :

- « معناه أن الترويجى يخرف .. لم يفعل ما يشير
غضب المومياوات عليه ، فلا أساس لشكواه .. هذا
طبعاً لو فرضنا أن المومياوات تطارد من يسرقون
أجزاءها .. »

- « وماذا عن الذراع التى تعود فى كل مرة ؟
ولماذا سرقها صديقك هذا ؟ »

- « هذه هى النقطة الوحيدة للمريبة فى الموضوع ..
يبدو أن على أن »

ثم امتنع وجهه ونظر إلى التقويم على المكتب ..
- « خطرت لى فكرة رهية .. رباه ! كم اليوم ؟
أيام الشعرى !! عسى ألا نكون تأخرنا ! »

قال الضابط فى ضيق :

- « ساكون لك شاكراً لو لم تتركنى بلا فهم كاطرش
فى الزفة »

- « سأشرح لك فيما بعد .. هذا مجرد هاجس .. »

ونفض (رمزى) وقد قرر أن يعود إلى القاهرة
فى أقرب وقت ممكن .. أين سيكون (رفعت) ؟
بالطبع عاد إلى القاهرة لأنه ليس له مكان آخر ..
عليه أن يتصل به أولاً ثم

تررررن !

دوى الصوت المزعج ليمزق أعصابى كما تمزق
أنت نسيج عنكبوت بعصا مكنسة .. كنت فى مكتبى
وقد أعددت كل شىء .. إنها مهمة كريهة ، لكن
لا بد من أن يقوم بها أحد .. كل شىء معد .. الذراع ..
السمسم .. الدهن .. الروث .. لم يبق إلا أن ثم

يقاطعنى هذا الطفيلى .. هل أتجاهله ؟ شىء يقول
لى إن على الرد على هذه المكالمة ، وهى قائمة من
خارج القاهرة .. فى الغالب هى مهمة إذن ..

- « من ؟ »

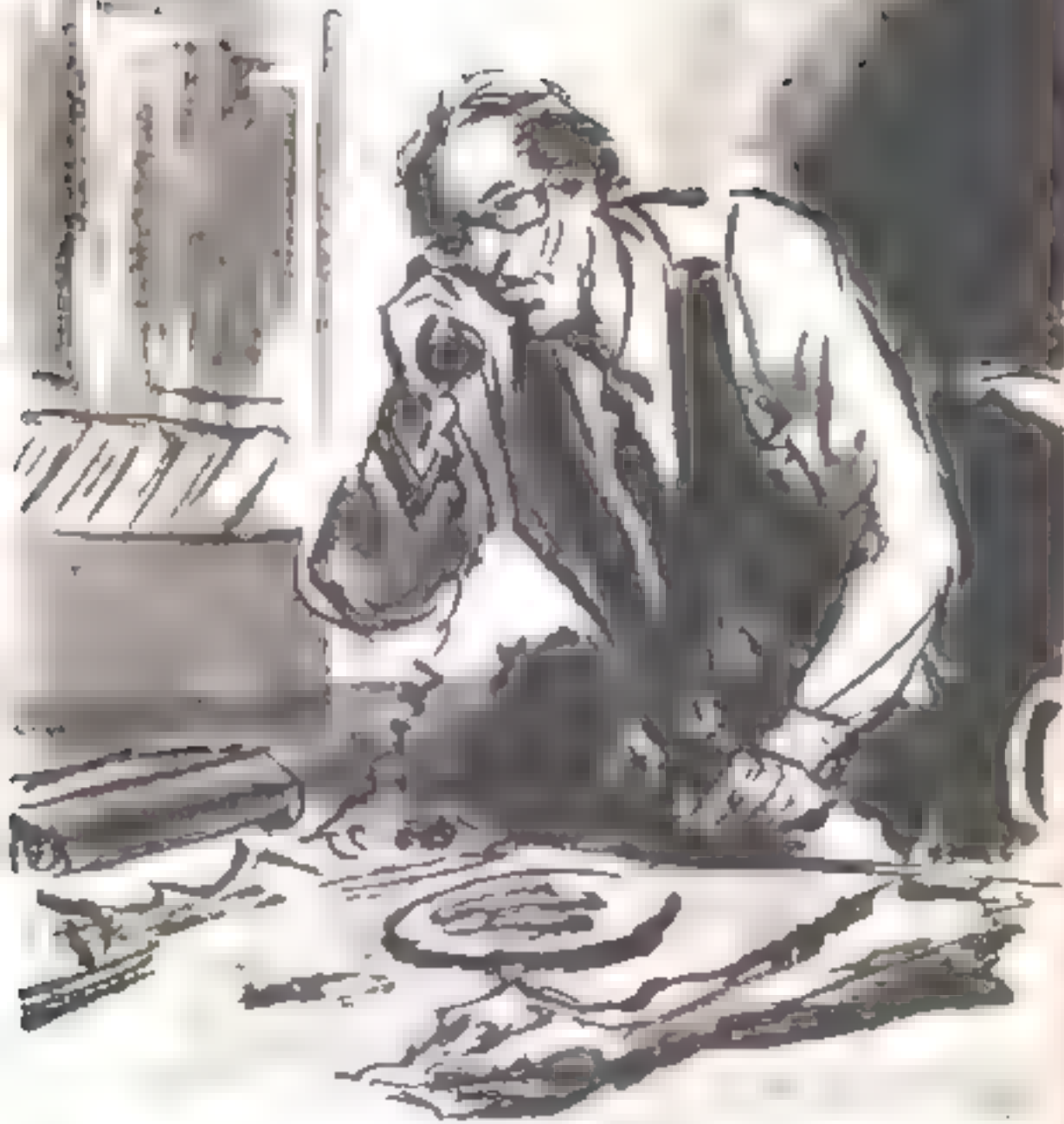
جاء صوت (رمزى) القلق المتوتر ، وكنت
أتوقع أن أسمعه على كل حال :

- « (رفعت) .. هذا أنا .. (رمزى) .. ماذا
تفعل الآن ؟ »

شعرت بضيق بالغ .. أنا أكره هذا التدخل فى
أمورى :

- « ثق أتنى لا أشوى طفلاً رضيعاً للعشاء لو
كان هذا يقلقك .. »

- « حدسى يقول لى إن هناك ما هو أخطر ..
(رفعت) .. أنت أعطيتنى موعداً للخلاص من
الذراع ، ثم لم تأت .. اختفيت .. وكل شىء يقول إن
الذراع معك .. (تورلسون) يؤكد أنك أنت من حاول



جاء صوت (رمزى) انقلب المتوتر . وكنت أتوقع أن أسمعه على كل حال
- « (رفعت) .. هذا أنا .. (رمزى) .. ماذا تفعل الآن ؟ » -

قتله بالأقراص المتومة .. هل تعرف ما معنى هذا ؟
معناه أنك ممسوس يا (رفعت) .. ثمة شيء - يعلم
الله ما هو - يحاول السيطرة عليك .. بل هو سيطر
عليك فعلاً ويحاول استغلالك لتنفيذ ما يريد .. »

صحت في اشمزاز شاعرًا بأننى لا أطيق كل هذا
السخف .. هذا - ببساطة - محض هراء :

- « أنا لا أطيق كل هذا السخف .. هذا - ببساطة -
محض هراء .. سأضع السماعة الآن .. »

- « لا !! »

وعاد يقول بلهجة متسارعة كى يسمعى أكبر
قدر من الكلام قبل أن أضع السماعة :

- « لقد قرأت كثيرًا عن يد المجد قبل أن أجيء
إلى الأقصر .. هل تعرف ما وجدته ؟ إذا لم تكتمل
الوصفة حسب الكتب فإن شبح الجثة صاحبة اليد
يطارد صانع التعويذة .. يطارده إلى أن يتمها بالشكل
الصحيح .. (تورلسون) لم يؤد الوصفة جيدًا لأنه

لم يجد دهنا آدميًا لشخص مشنوق يصنع به
شمعته .. كان من المستحيل عليه أن يجده .. ولهذا
لم تتجح الحيلة مع كل من جربها معه ، ولهذا طارده
الشيء وجعل حياته نحسًا .. فى كل مرة كانت
الذراع تعود إليه ، ولم يكن المطلوب إفزاعه بل أن
يستكمل ما بدأه .. وحين وجد الشيء ألا جدوى منه
لأنه لم يفهم ، قرر أن يغير هدفه .. أن يطارد
الشخص الذى يمكنه أن يصل إلى جثة مشنوق ..
وهذا الشخص طبيب .. بالطبع طبيب .. (رفعت) ..
ماذا حدث فى الليلة التى سمهرت فيها جوار
(تورلسون) ؟ »

كان الصداع يمزق رأسى ، لكننى تماكنت وهمست :
- « كانت لعة الفراغنة .. لا دخل ليد المجد هذه
بالأمر .. »

- « كلنا حسينا هذا .. لكن لا دخل لـ (ددى) فى
هذا .. اليد لم تؤخذ من مومياء فرعونية .. اليد
أُخِذت من جثة عادية بريئة إن كان هناك شيء كهذا »

خاتمة

بعد ساعة استجمعت فيها شتات أفكارى ، جلست إلى مكتبى وارتديت القفازين المطاطيين ، وبدأت الخطوات الأولى من العملية ..

هنا سمعت نقات عنيفة .. نقات عنيفة جداً على الباب .. ازداد السخط بى ، ونهضت كى أفتح الباب وأزجر القلم فى شراسة ..

لكنى لم أفعل ..

كان هناك عدد لا بأس به من النمرور والنجوم والأشرطة على الباب ، وقال كبيرهم بلهجة لا تخلو من التهذيب وإن كانت حازمة :

- « د . (رفعت إسماعيل) ؟ »

قلت بصوت مبحوح :

- « أنا هو .. خيراً ؟ »

- « سأضع السماعة الآن .. »

- « (رفعت) !! أنت لا تدري ما تقوم به .. إن هذا عمل من أعمال السحر الأسود ، وكل الدلائل تشير إلى أثره المدمر على العقل البشرى .. أعرف أنك مُصير .. أعرف أنك لا تدري بحق ما تفعله .. اللعنة جعلتك تحاول قتل (تورلسون) لأنه لا نفع منه ، ولعلك حصلت الآن على دهن المشنوق وروث الخيل .. الله (تعالى) وحده يعرف كيف فعلت هذا .. لكنك ستفتح أبواب الجحيم على نفسك لو فعلت .. »

هنا وضعت السماعة ، لأننى لم أعد أطيق الثرثرة ..

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

- « أرجو أن ترتدى ثيابك .. نحن نريدك في القسم بعض الوقت .. »

- « ل .. لماذا ؟ »

ابتسم ونظر لمن حوله ثم قال :

- « لا أدري .. لكن هناك مكالمة جاءتنا من العميد (عصمت) ، يطلب منا أن نحتجزك حتى إشعار آخر منه .. أعتقد أن الأمر لن يطول وهو على الأرجح سوء تفاهم .. »

نظرت حولي متخاذلاً .. لقد لعبها (رمزي) ببراعة .. ولا ألومه على هذا .. الحقيقة أنني كنت في حاجة إلى من ينقذني من نفسي .. وقد فعلها ..

- « بعد أن تغلق بابك ، هل تسمح لنا بالمفتاح ؟ هذه تعليماتي .. »

- « ليكن ياسيدي .. »

ودون كلمة أخرى أغلقت باب شفتي ولحقت بهم ..

* * *

جاء (رمزي) في اليوم التالي ، وكنت قد قضيت ليلة ليست سيئة جداً في غرفة المأمور .. كان يتوقع لوماً - (رمزي) لا المأمور - لكنني لم أقل له شيئاً على الإطلاق .. طبعاً جاء ومعه مكالمة تسمح بإطلاق سراحى دون قيد أو شرط ..

قال لى ونحن نتجه إلى الخارج :

- « لا تشغل بالك بالمشكلة الآن .. لقد عرجنا على بيتك وأخذنا كل ما يتعلق بالموضوع .. وقد تخلصنا منه .. »
- « كيف ؟ »

- « بالطريقة التي أثبتت نجاحها منذ قديم .. النار .. كما فعلنا مع مخلفات ذلك الفرعون يوماً ما .. لقد دمرت كل شيء ولو عاد هذا الأخ مبتور الذراع يطاردك ، لبدا لى كل هذا غريباً .. »

وابتسم وهو يفتح لى باب سيارته وأضاف :

- « عسى أن تكون النار ناجحة ، وألا تضطر إلى استعمال مرارة القط الأسود ودم البومة كما تقول الكتب ! »

- « ستكون مشكلة حقيقية .. أنا لا أعرف إلا طريقة الحصول على دهن المشنوقين !! »

- « ستتعلم ! كل شيء يمكن تعلمه ! »

وأدار محرك السيارة ، وابتعدنا ..

كما قلنا من قبل هناك موميאות وموميאות ..

ليست كل الموميאות لطيفة المعشر أو محببة للنفس .. لو اعتقدت هذا فأنت بلا شك فى مشكلة ..

وليست كل الموميאות شريرة تخرج ليلاً للبحث عنك .. ثمة استثناءات دائماً ..

قصتنا هذه نموذج جيد بلا شك للموميאות التى لاتفعل شيئاً ، ونموذج للتفكير الخاطئ الذى يتجه

حيث يراد له أن يكون .. وحتى أنا - طارد الأشباح المخضرم - خدعنى عنوان هذه القصة ، وحسبت أنه مادامت هذه أسطورة المومياء ، فمن الطبيعى أن يكون فيها مومياء أو اثنتان .. ولو أنصفنا لأطلقنا عليها أسطورة يد المجد ، أو أى اسم آخر لا يعطى إشارة موحية ..

كانت هذه أسطورة المومياء ..

هل يحق لى أن أستريح ، أم أن العشيرة تزار معنة دنو خطرها الداهم ؟

كانوا مجموعة من العمال .. وكانت هناك تلك الحياة القاسية التى
ولكن هذه قصة أخرى ..

د. (رفعت إسماعيل)

القاهرة

تمت بحمد الله

ما وراء الطبيعة

روايات تخصيب الانفس
من قلم القاص والروائي

روايات مصربة للحيت

أسطورة الموسياء

كعادتنا نحاول في هذا الكتيب
أن نصصح بعض الأخطاء الشائعة
والتي اعتبرها الناس حقائق :

- 1 . ليست كل الموسيقات لطيفة وبيعة ..
- 2 . ليس النرويجيون معصومين من الخطأ ..
- 3 . ليست ألحان الموسيقات من الأشياء
الصالحة لتجميل المنازل ..

4 . ما زال العجوز (رفعت إسماعيل)
ساذجاً ، وما زال يرتكب أخطاء
قائلة من حين لآخر ..



د. أحمد خالد توفيق

www.dvd4arab.com
Hany3H

العدد القادم :
أسطورة العشيرة

المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
بـ القاهرة

تم في مصر
وبإشرافه بالولايات المتحدة
في سائر الدول العربية والعالم